

الينبوع

مسرحية

للكاتب الأمريكي

يوجين أونيل

ترجمها: صلاح عز الدين

مكتبة الفنون الدرامية

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشاري



٤

اهداءات ٢٠٠٣

الفنان / الصامى حسن

القاهرة

مكتبة الفنون الدراسية

(٤)

دار مصير للطباعة
٢٢ (٢) شارع كاسر مدق "الجميلة"

مكتبة الفنون الدرامية (٤)

الينبوع

مسرحة في ثلاثة فصول

(١١ منظرًا)

ترجمها :

للكاتب الأمريكي :

صلاح عز الدين

يوجين أونيل

تصدرها يحضرها
مكتبة مصر عبد الحليم البساطي

The Fountain

by

Eugene O'Neill

Copyright 1954, 1955

Carlotta Monterey O'Neill

حقوق التمثيل والاذاعة محفوظة للمترجم

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . فهي تستهدف ترجمة روائع المسرحيات العالمية وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والاذاعية من تمثيل وكتابة وإخراج . ولعل هذا هو أول مجهود منظم يبذل في هذا السبيل .

كتب تصدر تباعا

قطعة على سطح من الصفيح الساخن

للكاتب الأمريكى : تينيسى وليامز

الشائعة

للكاتب الانجليزى : تشارلز مونرو

عيوب التأليف المسرحى

للقائد الأمريكى : وولتر كير

مسرحية مترجمة

للكاتب المجرى : فرينيك مولنار

الآنسة جوليا والأب

مسرحيتان للكاتب السويدى : أوجست سترندبرج

هذه المسرحية

بقلم : عبد الحليم البشلاوي

في اليوم الثاني من يناير عام ١٤٩٢ ميلادية ، دخل الجيش الأسباني غرناطة ، وبدا انطوت من كتاب التاريخ تلك الصفحة الفريدة الرائعة التي سجلتها دولة العرب في الأندلس . سقطت غرناطة في يد الأسبان ، وكانت عامئذ آخر معقل بقي في أيدي العرب في ذلك الجزء من أوروبا ، فانهارت الدولة العربية الكبرى في الغرب . في تلك الليلة ذاتها ، تبدأ حوادث هذه المسرحية . في تلك الليلة نرى الفارس الأسباني النبيل المغوار ، جوان بونس دى ليون ، يدخل بيت واحد من زعماء عرب الأندلس ليقيم فيه . في تلك الليلة - ليلة النصر - نرى ذلك الفارس الأسباني يبحث عن محمد جديد يضيفه الى اجماده السابقة . كان الامر قد استتب للأسبان في بلادهم ، ولم تعد للعرب شوكة ولا نفوذ ، فلا حرب ولا ضرب ، ولا طعن ولا قتال ، ولا غزو ولا فتح ، وانى له ، وهو الفارس الشهم المخلص لوطنه وقومه ، ان يبقى قعيد الدار ، بعيدا عن ضجيج المعارك ؟

وسرعان ماتواثيه الفرصة التي كان يبغيها . فهذا هو كرسطوفر كولمبس يزعم ان يقوم برحلته الثانية للوصول الى جزر الهند الشرقية عن طريق الابحار غربا . وها هو ذا فارسنا يصطحبه في عام ١٤٩٣ . ويوفق كولمبس في رحلته ، فيكتشف أمريكا ، ويعين جوان بونس دى ليون حاكما لبورتوريكو . ولكن هذا النصر الجديد

الذى يضيفه الفارس الأسباني الى سجل انتصاراته ما يلبث ان ينقلب الى هزيمة مرة . وذلك الفوز يستحيل الى مأساة اليمه . فلماذا ؟

* * *

ان الاجابة عن هذا السؤال هى موضوع المسرحية . فهذه كلها حوادث تاريخية صحيحة . ورد ذكرها فى كتب التاريخ . ولم يبتدعها خيال يوجين أونيل . الا ان هذه الحوادث ترتبط فى المسرحية بأسطورة تاريخية مشهورة آمن بها الناس فى فترات مختلفة من تاريخ البشرية ، تلك هى اسطورة « ينبوع الشباب » .

كان الناس يؤمنون فى قديم الزمان بوجود ينبوع يعيد الشباب الى من يشرب منه او يسبح فيه . وكان الناس يؤمنون فى وقتها ، بأن ينبوع الشباب هذا هو احد روافد نهر الفرات ، ويقال ان الاسكندر الاكبر ورجال جيشه استحموا فيه وشربوا منه . وفى العصور الوسطى شاع الاعتقاد بوجود ينبوع كهذا فى احد بلاد الشرق البعيد . اما بعد اكتشاف أمريكا فقد اتجه الظن الى وجود هذا ينبوع فى جزر بهاما . وكان العثور عليه أحد الدوافع التى حفزت « جوان پونس دى ليون » الى الرحيل مع « ناتو » . وهو بالطبع لم يعثر على ينبوع ، لان هذا ينبوع لا وجود له على الاطلاق . وانما ينبوع هنا رمز لذلك اللفز الذى حير الباب البشر . ذلك اللفز الذى يكمن فيه سر الحياة والموت . لماذا يهرم الانسان ويشيخ ثم يموت ؟ اما من مهرب من الموت ؟ اما من مسبل الى الاحتفاظ بالشباب ؟ ولو كان المرء مؤمنا لما بدا له هذا لفزا على الاطلاق ،

(١) تقع مجموعة جزر بهاما فى المحيط الاطلسى فى مواجهة ساحل ولاية فلوريدا الأمريكية . وسرد ذكر هذه الجزر فى سياق المسرحية .

ولما استعصى عليه الجواب . فالاجابة ان تستغرق طويل زمن .
ذلك لان الايمان بالله ايمان بالروح واليوم الآخر . وما دامت هناك
روح ، وما دامت هناك دنيا وآخرة ، فلا بد من الموت ثم البعث
والنشور . وفي ذلك خير جواب .

في مستهل المسرحية نرى جوان جنديا متعجرفا ظمان الى
المجد والثروة والصيت . لا يفكر الا في هذا ، ولا يابه الا به .
يرفض الحب وينكره ، ويزدرى الشعر ويستنكره . وهو يحقق
كل امانيه : المجد والثروة والصيت ، بعد عشرين عاما من رحيله
الى القارة الجديدة . ولكنه بعد ان حقق لنفسه ما اراد ، يرى نفسه
فريسة للدسائس الكنيسة التي تحاول خلعها من منصبه . ويرى
نفسه وقد تجردت من اى ولاء لاسبانيا . ويقع في غرام ابنة المرأة
التي كانت تحبه شابا يافعا ، والتي لم يبادلها الحب . ولكن غرامه
هذا - غرام الشيخوخة - غرام يائس بائس ، فاذا به يجد في
البحث عن ينبوع الحياة ، ويكاد يلقى في سبيل ذلك حتفه . ولكننا
نرى في النهاية ذلك الجندي المتعجرف الذي كان ظمان الى المجد
والثروة والصيت ، والذي كان يرفض الحب ويزدرى الشعر ، نراه
قد انقلب شاعرا ، ونراه قد آمن بالبعث والخلود . وانقلبت المادية
في قلب الجندي ، الى روحانية في قلب المؤمن . آمن بان :

الحياة ينبوع ،

دائما يتدفق ،

الى الملا ، ليمسك بضوء الشمس الذهبى ،

ويبلغ السماء الازوردية .

يهوى ويستقط ،

ودائما يعود ،

ليقبل الارض كى تزدهر الزهور .

هذه هي فكرة المسرحية .

وقد يراها بعض الناس فانتازي **Fantasy** حافلة بالمجردات والايحاءات . تعتمد على الخيال . عمادها أسطورة لا يمكن أن يؤمن بها ذو عقل سليم . ولكنني أراها تعبيرية **Expressionistic** سخر فيها أونيل الحوادث والشخصيات لإبراز وجهة نظر معينة والتعبير عن رأي معين . بل أن الطريقة التي عالج بها أونيل هذه الأسطورة ، طريقة بارعة كل البراعة ، جديرة بالاعجاب والتقدير .

وعنصر الرمزية متوافر كذلك في المسرحية . فإن شخصية جوان بونس دي ليون هي رمز تجسدت فيه شخصية الإنسان بصفة عامة ، بتردها بين المادية والروحانية ، وتذبذبها بين الشعر والحب وبين المجد والصيت . كما أن النافورة نفسها أو ينبوع رمز لذلك الأمل الخائب الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه ، أمل الخلود المادي في الحياة الدنيا .

وقد كتب أونيل هذه المسرحية في عام ١٩٢٥ . ونشر في سياق حوارها آراءه في الاستعمار ، والفتح ، والتبشير ، والتعصب الديني ، وهي كلها آراء جديرة هي الأخرى بالاعجاب . إلا أنه كان يشير دائما إلى العربي المنشد الذي ظهر في بداية المسرحية بقوله « الكافر » مما يتناسب وجو الحوادث ، وقد استبدلت هذه الكلمة بكلمة العربي إلا في موضع أو موضعين .

عبد الحليم البشلاوي

يونية ١٩٥٩

« ... أنها رحلة مضمّنة حقاً . مغامرون متشوّقون الى أسلاب وغنائم يحصلون عليها بطعنة أو طعنتين . نساء يحلمون أحلاماً جشعة مفعمة بشراء يؤول اليهم بفضل مولدهم . ورهبان يتحرّقون الى آلات يعذبون بها رعايا مخلصين ، ويحولونهم بها عبيداً للكنيسة . ويتولى قيادة هؤلاء أنت يا دون كرسطوفر ، يا من ستنتهب وتسلب لتبعث الحروب الصليبية من مرقدها . نهابون كلكم فرداً فرداً . أليس فينا واحد يرى فيها أرضاً يشيد فوقها ويبنى ؟ ستنهب ونهب الى أن يضئنا النهب ، فنخر فرائس سهلة أمام نهابين أقوى منا . الا فليرحم الله هذه الأرض حتى يهلك آخر نهاب في الدنيا ! »

يوجين أونيل

على لسان جوان بونس دي ليون

« ... أنهم لا يرون إلا الأشياء وحدها ، لا ما وراء الأشياء
 من روح . قلوبهم موحلة كبركة خاضت فيها الغزلان . حكماءهم
 يتحدثون عن اله جاءهم منذ زمن بعيد في صورة بشر ، علمهم أن
 يحرقوا الأشياء ، علمهم أن يبحثوا عن الروح في الأشياء ، فانتقموا
 منه وقتلوه . عذبوه ، وقدموه قربانا لشیطانهم الذهب . عقدوا
 صليبا من قطعتين كبيرتين من الخشب ، وعرزوا عصيا صغيرة في
 يديه وقدميه ، ... وسمّوه ... »

يوجين أونيل

على لسان ناتو

رئيس إحدى قبائل الهنود الحمر

يوجين أونيل

EUGENE GLADSTONE O'NEILL

١٨٨٨ — ١٩٥٢

هو بحق أبو الدراما في أمريكا . كان الكتاب المسرحيون قبله في الولايات المتحدة مجتهدين مقلدين ، أبعد ما يكونون عن الأصالة والعمق . فلما جاء وبرز ككتاب مسرحى واقعى أصيل ، كان هو الفاصل بين عهدين . عهد الجاهلية وعهد النور .

كان أبوه ممثلا مشهورا هاجر الى الولايات المتحدة من إيرلندا، وكان معبود عشاق المسرح ، نزل ١٦ عاما يمثل دور الكونت في مسرحية « الكونت دى مونت كرسنو » .

كتب عددا من المسرحيات لا يقل عن ٤٧ . منها القصيرة ذات الفصل الواحد ، ومنها العادية ذات الفصول الثلاثة ، ومنها الثلاثية *Trilogy* التى تضم ثلاث مسرحيات معا . كان البحر يستهويه فجاب آفاقه ، وأفادته هذه التجربة فائدة كبرى تجلت في مسرحياته .

ومن العجيب أنه لم يفكر في الاتجاه الى الكتابة للمسرح الا بعد أن ألفى نفسه طريح الفراش فى إحدى المصححات مريضا بالسل ، فى عام ١٩١٣ . ونال جائزة پوليتزر الأمريكية على أول مسرحية طويلة له ، وهى « وراء الأفق » . ونال هذه الجائزة مرتين بعد ذلك . كما نال جائزة نوبل للأدب فى عام ١٩٣٦ .

وبالرغم من هذا الانتاج الدرامى الغزير الذى خلفه يوجين أونيل ، فأننى أرى أن أروع مسرحياته تلك التى أوصى الا تنشر الا بعد وفاته ، وهى مسرحية « رحلة النهار الطويلة الى الليل » **Long Day's Journey into Night** ، وهى سيرة ذاتية قدم لنا فيها حياته مع أسرته فى أسلوب واقعى صادق رائع أصيل . وهى خير ما يمكن ان يقدم لعشاق الدراما ودارسيها كنموذج للمسرحية الواقعية . ومن يقرأها يلم بالكثير من الاطوار الغريبة التى مر بها اكبر كتاب المسرح الأمريكى .

للحرد

الْيَنْبُوعُ

المناظر

الفصل الأول

- المنظر الأول — في فناء دار ابن أسود ، بفرناطة في إسبانيا —
الليلة التي سلم فيها العرب غرناطة ، عام ١٤٩٢ م .
المنظر الثاني — السفينة المعقود لواؤها لكريستوفر كولمبس ،
في آخر يوم من رحلته الثانية ، عام ١٤٩٣ .

الفصل الثاني

- المنظر الثالث — فناء دار الحكومة في « بورتوريكو » ، عصر يوم ،
بعد عشرين عاما أو أكثر .
المنظر الرابع — غرفة الأسقف مننديز في دار الحكومة — ذات
مساء ، بعد ثلاثة أشهر .
المنظر الخامس — زنزانة سجين في دار الحكومة ، في نفس الوقت .
المنظر السادس — نفس المنظر الثالث — والزمن ، عقب المنظر
الخامس مباشرة .

الفصل الثالث

- المنظر السابع — جانب من الشاطئ على ساحل فلوريدا — ذات
ليلة بعد أربعة أشهر .
المنظر الثامن — نفس المنظر السابق — ظهر اليوم التالي .
المنظر التاسع — جانب من الغابة — تلك الليلة .
المنظر العاشر — نفس المنظر السابق — بعد ساعات .
المنظر الحادي عشر — فناء الدير الدومينيكي في كوبا — بعد بضعة
أشهر .



الشخصيات

ابن اسود	زعيم من عرب الاندلس
چوان پونس دى ليون	Juan Ponce de Leon
پدرو	Pedro خادمه
ماريا دى كوردوفا	Maria de Cordova
لويس دى الفاريدو	Luis de Alvaredo
يوسف	منشد من عرب الاندلس
دييجو مئنديز	راهب فرنسيسكانى
فستنتى دى كوردوفا	Diego Menendez زوج ماريا
الونزو دى اوفيبيدو	Vicente de Cordova
ماتويل دى كاستيلو	Alonzo de Oviedo
كريستوفال دى ميندوزا	Manuel de Castillo نبله
كريستوفر كولمبس	Cristoval de Mendoza
چندى	Christopher Columbus
الراهب كوسادا	Friar Quesada فرنسيسكانى
بياتريز دى كوردوفا	ابنة ماريا وفستنتى
نفسو	Beatriz de Cordova
	رئيس احدى قبائل الهنود
	Nano

رئيس احدى قبائل الهنود في فلوريدا

طبيب القبيلة الساحر

شاعر من مدينة كاتاي

هندية عجوز من جزر باهاما

راهب دومينيكي

كبير الرهبان الدومينيكيين في كوبا

ابن شقيق جوان بونس دي ليون

جوان

Juan

نبلاء ، رهبان ، جنود ، بحارة ، هنود

اسرى من بورتوريكو، هنود من فلوريدا

تجري حوادث المسرحية في اواخر القرن الخامس عشر ،

واوائل القرن السادس عشر .

الفصل الأول

المنظران ١ و ٢

المنظر الأول

(فناء قصر ابن أسود في غرناطة .

يمثل القطاع مثلثا قائم الزاوية ، رأسه في المؤخرة ، الى اليمين . الى اليسار ، في الوسط ، بوابة ضخمة تؤدي الى الشارع . الى اليمين باب يؤدي الى الدار . وفي وسط الفناء نافورة رائعة من الرخام الأخضر عليها رسوم من البرونز الموه بالذهب لبشر وحيوان . الرواق المستدير حول الفناء ينهض على أعمدة من الرخام المصقول ، طليت أجزاء منها بماء الذهب . نقوش عربية وآيات قرآنية ، باللون الأحمر ، والأزرق ، والذهبي ، على المسطحات العلوية فيما بين العقود التي تبدو كخطوة الحصان في تفرعها من الأعمدة . وفوق ذلك نوافذ جناح الحريم . ويمكن رؤية السماء بنجومها ، فوق المنزل . الوقت في بداية الليل .

عند رفع الستار ، يبدو الفناء خاليا يخيم عليه السكون فيما عدا خرير الماء الصادر من النافورة . يسمع طرق مرتفع ، على نحو أمر ، كأنما يدق أحدهم بمقبض سيفه على البوابة . يدخل ابن أسود من اليمين ، وهو عربي نبيل المظهر ، متقدم في السن ، تغطي أسفل وجهه

لحية طويلة بيضاء ، ويفصح تعبير وجهه عن
 كبرياء شديدة يشوبها حزن واذلال . يخرج
 من البوابة ، ثم يعود ، متقدما « جوان يونس
 دى ليون » وخادمه « پدرو » . جوان نبيل
 أسباني ، في الواحدة والثلاثين من عمره ،
 طويل القامة ، حسن المظهر ، يرتدى زيه
 العسكري كاملا . سحنته مترفعة زاخرة
 بأمارات الشجاعة وروح المغامرة الرومانسية ،
 ولكنها توحى مع ذلك بالقدرة المنظمة المبررة ،
 والثقة ، والتحكم في الذات - طبيعة الرجل
 الفكر الطموح هي التي تسيطر فيه على شخصية
 الحاكم الرومانسي . أما « پدرو » فشاب بليد
 المظهر)

-
- جوان : (وهم يدخلون ، مخاطبا ابن أسود) معذرة أيها
 السيد العربي .
 ابن أسود : (في ترفع) هل ستقيم هنا ؟ (ينحنى جوان مؤمنا)
 مرحبا بك إذن ، ما دامت إرادة الله قضت أن تكون
 أنت الفاتح القاهر .
 جوان : لست هنا فاتحا قاهرا ، إنما أنا غريب ممتن لكرم
 الضيافة .
 ابن أسود : (دون أن يلين إطلاقا) أنت كريم . لقد رأيتك تقاتل
 في الميدان . أنت شجاع . إن مرارة الهزيمة تزول
 عندما يكون العدو نبيلًا (محدقا صوب النافورة في غم
 ومرارة) إن مياه النافورة تتساقط ، ولكنها دائما

تعلو من جديد ايها السيد الاسباني . هذه سنة
الأقدار . (في ورد) « قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعر من
تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء
قدير » (بقسوة وتحسد) ومهما يكن المنتصر ، فلا
غالب الا الله . .

جوان : (في برود وجفاء) ان جلتك يا سيدي يرفع منزلتك
(وكأنا ينهى الموضوع - يقول في اقتضاب) انا
انتظر قدوم اصداق لي . هل يزعم هذا اهل بيتك ؟
اذا كان الامر كذلك . . .

ابن اسود : (في برود) بيتي هو بيتك . هكذا قضت مشيئة الله .
(ينحن في ترفع ثم يخرج من اليمين)

جوان : (يوم كأنا ليستبقيه - ثم يهز كتفيه) ما عساني
استطيع ان افعل من اجله ؟ (يكرر ، ساخرا ، عبارة
ابن اسود ثم يقول) هذا قضاء اسبانيا ان لم يكن قضاء
الله . (وقد رأى پدرو مستنما الى الخائط في كسل ،
وهو يحلق في النافورة بخمول - وقد أعجبه ذلك)
ايها الجلف الكسول ، اتدفنك النافورة انت ايضا الى
الاستفراق في الحلم (بلهجة أمرة) هات النبيذ .
سيكونون هنا بعد قليل .

پدرو : أمرك يا سيدي (يخرج . جوان يذرع المكان جيئة
ونهباً وهو يندب) يعقود « پدرو » ويقترب من
سيده (حذر) سيده يا سيدي !

جوان : (متجهما) امي وحدها ؟ (يومى پدرو مؤمئسا ،
ويتسسم جوان في سخرية) لا بد انك اخطأت . قل

لها أننى لست هنا (يستدير يدرو ليخرج ، فُتظهر
« ماريا دى كوردوفا » تحت عقد البوابة ، وعلى
وجهها نقاب اسود سميك)

ماريا : (بصوت خافت مرتعش) جوان !

جوان : (وقد ارتد على الفور فارسا شهما ، يشير الى
« يدرو » لينصرف ، وينحنى اتحناءة كبيرة وفى
صوته سخرية) أيتها السيدة الجميلة ، أنك تسبغين
على شرفا لا استحققه .

ماريا : (متعبية) اعفى من سخريتك يا جوان (ترفع
النقاب عن وجهها . انها سيدة ذات مظهر اخاذ ،
فى الثامنة والثلاثين أو فى الأربعين ، ولكن السخط
والأسى قد أبرزتا عمرها على وجهها)

جوان : (منهشاً) ماريا ! (ثم فى زعر صادق) رياه !

ماريا : (صوتها يتهدج) جوان ، لقد اضطرت الى المجيء .

جوان : (متجهماً) زوجك اخى فى السلاح . واليلة
سيكون هنا ضيفا من ضيوفى . كل كلمة نقولها
الآن تسيء الى شرفى .

ماريا : (فى نبرة حزن بالغ) ما أقساك ! كان لزاما أن اتحدث
إليك على انفراد . هذه فرصتى الوحيدة . سأتراك
البلاط غدا .

جوان : (بارتياح واضح) آه !

ماريا : (تحملق فيه متوسلة بشكل مؤثر . يتجنب عينيها)
يا الى من حمقاء . . . (تكاد تنتحب كأنها الاعتراف
يتتزع منها انتزاعا) . . أن أحبك يا جوان (تقوم
بحركة صويه ، ولكنه يتراجع ، مترفعا ، باردا) .

جوان : (**مقطبا**) هذه الكلمة .. اننا لم ننطقها من قبل
 ابدا . لقد كنت دائما .. صديقة لى . (**بعد تريت** ،
 فى **اخلاص عميق**) لماذا تحطمين صداقتنا النادرة
 من اجل كلمة يتشدد بها كل منشد جوال ؟ (**ثم**
 فى **ضيق**) الحب .. الحب . اننا نزعم ان الحب
 وحده هو السبب الذى تعيش من اجله . ما اسخف
 هذا ! ان الحياة انبل من ترهات الشعراء .. والا ،
 فهى لا شئ !

ماريا : (**وقد جرحت وغضبت**) لو كان عليك أن تحارب
 من اجل الحب كما تحارب من اجل المجد !

جوان : (**وقد اخذه الألم فى نبراتها** ، يركع ويقبل يدها ،
 نادما) افقرى لى . انا افضل الموت على أن أجلب
 الاسى الى قلب طيب كقلبك . اننى اضرع اليك أن
 تبقينى الى الأبد فى قلبك . ولكن كصديق . كما
 كان الامر دائما .

ماريا : (**بشهقة ألم**) آه (**تخلص يدها من يده . وبتنهدة**
 عميقة) ادعو الله أن يحيطك علما بأسرار القلوب .

جوان : (**ينهض . يحاول بوضوح تغيير الموضوع**) واذن
 فستغادرين البلاط .

ماريا : لقد اجابتنى الملكة الى رغبتى فى الاعتزال والعودة
 الى قرطبة ، (**بحماس عاطفى**) لقد سئمت البلاط .
 انا اتوق الى الاشياء البسيطة . اننى اضرع الى الله
 ان اعود جذيرة بما كنت امرفه وانا فتاة من حب
 خالص لله . لا بد أن التمس عنده السلام ! (**بعد**
 هنيهة) لقد أصبحت غرناطة لنا . وتم طرد العرب

من أسبانيا . وأنتهت الحروب . فماذا أنت فاعل
الآن ، يا جوان ؟

جوان : السلام معناه الركود ، فرسان يستريحون في
استرخاء ، وأغان ، وورود ذابلة . أما أنا فلا بد أن
أمضي في سبيلي .

ماريا : الى أين تذهب ؟

جوان : (يتسهم لفكرة تداعب خاطره) ربما ذهبت مع هذا
الرجل القادم من جنوا ، كرستوفر كولبس ، حين
يقلع باحثا عن الممر الغربي الى كاثاي .

ماريا : (متزعجة) ولكنهم يقولون انه مجنون .

جوان : (جادا الآن) سواء اكان مجنونا أم عاقلا فانه يحطم
بالجد . سمعت انه يعد العدة ليفتح لاسبانيا مملكة
خان الاكبر الشاسعة التي رآها ماركوبولو .

ماريا : انتخلي عن مركزك في البلاط الآن بعد ان جلبت
اليك مفاخرك مثل هذه الخطوة ؟ ما من احد يحطم
حياته هكذا ، دون تعقل ، الا ان يكون قد انتسبه
اليأس ! (في غيرة) لابد انك هارب من الحب .
(تسخر في شراسة) اهي امرأة تثار للنساء . . ؟
خبرني ، ما اسمها ؟

جوان : (بضحكة ساخرة) الحب ، الحب ، دائما الحب !
الا يمكن أن يوجد في نظرك دافع آخر ؟ ! الا فليرحم
الله النساء ! !

ماريا : (بعد هنيهة - في حزن) فليرحمني الله - لان
الرحمة هي ما تقدمه انت لي . (واذا يدعو أن جوان
على وشك أن يحتج في صجر) لاننكر ذلك يا جوان .

أنت تهزأ بي فيما تدعيه من ازدراء للحب ! أنت تريد أن تهون على مثلي . هل تظنني غبية ؟ أما أحببت أخريات ؟ انني أستطيع أن أعد عشرة ..

جوان : ماريا !

ماريا : اتظن أنني لم أتكهن بالحقيقة .. ؟ كانت الأخريات في سن الشباب ، بينما أنا ... وحيى يبدو لك جديرا بالرثاء !

جوان : (يركع ويمسك بيدها . وفي حمية عاطفية) كلا ، أيتها الصديقة العزيزة ، كلا . أقسم لك على ذلك . (بعد هنيهة) ان ما تسمينه حبا لم يكن أكثر من نزوات طارئة — أحلام ليلة أو ليلتين . مفامرات شهوانية ، وربما كانت لفتات غرور وخيلاء ، ولكنني لم أشعر بالحب أبدا . أسبانيا هي خليلتي التي أمنحها قلبي . أسبانيا وأطعمني أنا ، التي هي أطعام أسبانيا . اتفهمين الآن .. ؟

ماريا : (في حزن) كلا يا جوان . (تنهض) أنا أدرك أنني اتقدم في السن ، وان الحب قد انتهى أوانه بالنسبة لي ، وأنتى أشقى في وحدتي . لو كان الله قد وهبني طفلا ! ولكن الله يعاقب بعدله . لقد اطلع على خطيئتي المستترة . لقد أحببتك يا جوان ، سنوات ، ولكنني لم أجرؤ على أن اطلعك على سري الا في العام الأخير ، عندما دب اليأس الى قلبي وهو يشعر بالتسباب يولى عنه . والآن ، وداعا حتى تقضى ارادة الله بالموت . يجب الا نلتقي ثانية !

جوان : (متجهما) كلا . (بعاطفة) شد ما أتمنى لو لم تقولى .
لى هذا .

ماريا : (برقة) اذا كنت ما تزال صديقى فلن تتمنى ذلك .
لقد كان هذا آخر ما اكفرت به .. أن تعرف . والان
وقد اخبرتك ، فانى اشعر بالحرية ، لأن قلبى
مات . ولم تعد لى غير روحى ، وهى التى تعرف
حبة الله التى ترحم ولا تعذب . وداعا مرة اخرى
يا جوان ! (يركع ويقبل يدها . فتضع يدها الأخرى
على رأسه كأنها تباركه) أنت نبيل . أنت روح
الشجاعة نفسها ، رجل الرجال . سترحل بعيدا ،
جنديا من جديد .. وحالما . وليكن الله فى عونك
اذا اصطدم هذان فى نفسك . ستكون كل صلواتى
من أجل نجاحك . ولكننى ساضيف قائلة « ايها
الرب المنقذ ، دمه يعرف الرحمة والحنان ليكونا
عوضا له عن شبابه الجامد حين يولى » (تستدير
بسرعة وتنصرف)

جوان : (يتبعها بصره فى تفكير حزين هنيهة - ثم يشهد
بعمق ويهز كتفيه) ان الزمن يلوث بالضعف كل
شئ ، حتى النقى المستعصى (يدخل « لويز
دى الفاريدو » من البوابة ، وهو نبيل يبدو داعرا ،
ويكبر جوان ببضعة أعوام قليلة ، وجهه عادى
مألوف ، ولكنه بالغ الجاذبية فى نبلة وفيما يبدو
عليه من امارات المرح الساخر والكلف بالضحك ،
مهمل الزى ، ومثل قليلا)

لويز : (ساخرا) يا عاشق المجد ومعشوق النساء ، سلاما !

(يتقدم نحو « جوان » الذى انتبه على اصوات آتية من البوابة - فى همس متعجل محاذر)
يا للشيطان يا جوان ، هل فقدت رشذك ، أم هى
التي فقدت رشدها ؟ ! لقد تبينت شخصيتها بينما
كان « فمسنتى » ورائى على بعد عشر خطوات
فحسب . (ساخرا من جديد) الخيطة أيها الفارس
النقى السمعة ، الخيطة ! !

جوان : (متجهما) أسكت ، انت تظلمها وتظلمنى ! (تسمع
اصوات نزاع غاضب مرتفع آتية من خارج المسرح)
ما هذا الشغب ؟

لويز : هذا رجلى العربى (يفسر الأمر لجوان بسرعة)
زميل شاعر ، منشد شعبي جوال . وجدناه يجرى
هائما فى الطرقات ، ينادى النجوم ويقول لها ان
ملكهم « أبا عبد الله » قد باع روحه لجهنم عندما
سلم للعدو (باعجاب) ويا لله يا جوان ، كيف كان
يلعن ! أوه .. انه منشد ثمين القدر . وكما ينبغى
لشاعر على شاعر ، فقد أمسكت بخناقته ، وجررته
معنا . كان صديقنا « ديجو » يريد ان يحز رقبتة
فى سبيل الكنيسة ، لو لم أ تدخل أنا فى الأمر .

جوان : (مبتسما) كما ينبغى لجنون على مجنون ، هه ؟
ولكن قيم احضاره للنعيق هنا ؟ !

لويز : ان معه عودا . وأنا أريده أن ينشد لنا بعض شعره .
(فى زجاجة طروب) هذا الحيوان لا يتكلم الا
المريية . ولو كان مأكرا فسينشد فوق رؤوسنا
من اللعنات ما هو حوى بأن يجعل ماء هذه النافورة

يجف ، ولن يكون منا من يفهم قوله سوى .
 (في ابتهاج عظيم) سيكون ذلك ممثعا يا جوان !
 (يشتد غنف الضجيج في الخارج) يا لله ، سيقتل
 « ديجو » شاعري ، بعد كل ماتحملت من مشاق !!
 (يهم بالانصراف متعجلا - يقف عند المدخل) تذكر
 يا جوان ان « قسنتي » ربما يكون قد عرف .. السيدة!

جوان : (يوميء ، ويقطب) فليذهب الشيطان بالنساء
 جميعا . (يخرج لويز ، ويدخل « پدرو » حاملا
 سلتين كبيرتين مليئتين بالزجاجات . يضعهما على
 الأرض ، في المؤخرة) .

اشرب وانس هذا الكلام الفارغ المحزن . هات
 الوسائد . سنجلس الى جوار النافورة . (يخرج
 پدرو متجها الى المنزل ، في اليمين . ويدخل لويز
 من جديد ، ماسكا « يوسف » من ذراعه . ويوسف
 عربي عجوز أعرج ، يلبس ملابس العامة ، ولكنه
 يضع على راسه عمامة تدل على اذاته فريضة الحج .
 عيناه الفاترتان تتأججان بالحد ، ولكن التعب قد
 نال منه حتى بدا مستسلما لمصيره . ويتبعهما
 « ديجو مننديز » ، وهو راهب فرنسيسكاني
 يقارب « جوان » و « لويز » في العمر ، ذو وجه
 طويل شاحب ، وفم دقيق قاس ، وعينين صارمتين ،
 شان المتعصبين . وهو الآن يجيش بسخط وغضب
 عاجزين . وفي رفقته « قسنتي دي كوردوفا » ،
 نبيل في الخامسة والأربعين ، عسكري الهيئة ،
 أشيب الشعر ، عبوس الوجه . ويتبع هؤلاء النبلاء

الثلاثة «أوفيدو» و «كاستيلو» و «ميندوزا» ،
 وهم نموذج الفرسان المفاخرين من أبناء ذلك العصر .
 قساة ، شجعان الى حد التهور ، لا نصيب لهم من
 التعليم على الاطلاق . انهم فرسان « الصليب » ،
 ولكنهم يجهلون ، ويحتقرون ، اول مبادئ المسيحية
 الحقنة وابسطها ، ولكنهم مع ذلك يتخذون هذا
 المظهر البهي (

منندير : (غاضبا) انا احتج اليك يا جوان . انه لكفر وهرطقة
 ان يسمح بوجود هذا الكلب بينما نرفع الى الله
 شكرنا على النصر !

جوان : (يحرق صوب العربي لحظة ، في اهتمام - ثم يقول
 بلا اكتراث) لست ارى تدنيسا في هذا يا ديجو . .
 اذا كان سيفنى لنا ، لا أن ينق (مستديرا الى
 قسنتي يفحص ملامح وجهه بتدقيق - ثم
 بلا اكتراث) ماذا تقول يا قسنتي . . ؟

قسنتي : (ينظر اليه نظرة شك كالحة - في برود وبلهجة ذات
 مغزى) لا اقول شيئا ... الآن .

جوان : آه ! (يتبادل نظرة مع لويز)

أوفيدو : اما انا فاقول دعوه يبقى ، فقد سيلينا .

كاستيلو : (بابتسامة قاسية) ربما افلحنا ، بحد السيف ،
 في اقناعه بالغناء لنا عن المكان الذي خبا فيه قومه
 الذهب .

ميندوزا : كلماتك ملهمة يا ماتويل .

لويز : (باحتقار) مادبون !! انكم لثنهون السماء
 وتسهرون القمر من اجل الفضة !! جوان ، اين

نبيذك ... ؟ (يظهر يدرو حاملًا الوسائد والكنوس
لكل منهم . يفتح الزجاجات ، ويأخذ كنوسهم الى
آخرها . لويز لا يقنع بالكاس ، فيختطف منه
زجاجة ويشرب منها)

جوان : (مراقبا فسنتي في يقظة) فلنشرب (ياخذ كأسا
من يدرو) نخب ملوكنا العظام ، ونخب اسبانيا !
(يشرب)

مننديز : ونخب الكنيسة ! (بغضب) ولكنني لن اشرب حتى
تبعدوا عنا هذا العربي .

فسنتي : انا اوافق .

جوان : (بنفاد صبر) فليذهب العربي يا لويز - ما دام
ديجو جادا هكذا .

فسنتي : (ممتعضا في برود) وانا ؟ (جوان يكاد يرد عليه في
غضب ، ولكن لويز يسرع بالتدخل)

لويز : تشش !!!! ساغنى لكم اغنية (يطلق سراح العربي ،
مشيرا الى المؤخرة) اذهب الى هناك ايها الزميل
المفنى . واسترح (يذهب العربي الى اليمين ، في
المؤخرة ، ويجلس القرفصاء في الظل الى جوار
الحائط . لويز يغنى)

الحب زهرة ،

دائما مزدهرة .

الحياة ينبوع ،

دائما يتدفق ،

الى العلا ، ليمسك بضوء الشمس الذهبى ،
ويبلغ السماء اللازوردية .

يهوى ويسقط ،

ودائما يعود ،

ليقبل الأرض كي تزدهر الزهور .

(يصفقون جميعا عندما يفرغ من أغنيته)

چوان : هذا رائع ايها السيد الشاعر ولكنه كذب (ساخرا)

الحب ، الحب ، دائما الحب ! الا فليذهب الشيطان

بزهرتك ! الا تفيض الينابيع الا لتنبث ازهاراً تزدهر

يوما ثم تموت ؟

لويز : فلتزار ايها الأسد ! ولكنك لن توقظ حلمي بان

الحياة الحب .

چوان : استمع اليه يا ديجو ! اتنا نعرف ان غرامه الوحيد

هو امه العجوز ، ومع ذلك فان من يستمع الى اغانيه

يظن انه عاشق اعظم من .. من ...

فستنى : (مقاطعا في سخريه) منك انت ، يا دون چوان ؟

چوان : (مستديرا اليه . في برود) كثيرا ما تطلق الشائعات

اسماء زائفة ، ولكنها لا تخدع الا عجائز النساء .

فستنى : (يبتلع وجهه) اتعنى حقا هذه ... الاهانة ؟ !

(تمتد ايديهما الى مقبض سيفيهما . يبدو الاهتمام

والحماس على النبلاء . يقفز لويز واقفا بينهما)

لويز : بالله عليكما ! هل احكما عري ؟ (ويرفع زجاجته)

فلنشرب ثاية نخب اسبانيا !!

اوڤييدو : ونخب الحرب القادمة !

كاستيلو : ولكن عاجلة !

ميندوزا : ومعها عالم بأسره للسلب ! غننا أغنية في هذا يالويز !

لويز : ظمئى يمنعنى من ذلك . ولكن صبرا ، لقد نسيت

العربي . فلاستخدم معه الاقتناع والترغيب . (يذهب
الى المؤخرة صوب المبنى ويسمع وهو يتحدث اليه
بالعربية)

جوان : كنا نتحدث عن حروب قادمة . ولكن ، مع من ؟
او فييدو : مع أى خصم !

جوان : ولكن نحن . أنا اظن انها ستدور في بلاد تقع وراء بحار
غريبة - شيبانجو ، وكاتاي - مدن الذهب التي
راها ماركوبولو .

او فييدو : ولكن من الذى سيقودنا اليها ؟

جوان : كرسوفر كولبس طبعاً . (يضحكون جميعاً)

كاستيلو : هذا الصعلوك من ابناء جنوا !! هذا يقود اسبانيين !
انه رجل مجنون . انه يزعم أن الارض كروية -
كالبيضة . (يضحكون جميعاً)

جوان : (بلهجة مثيرة) لقد رايتہ اليوم . كان ممطيا بغله
الذى فتكت به البراغيث ، وكأنه احد القياصرة في
مركب النصر ! كانت عيناه مليئتين بدمع الذهب !

كاستيلو : جوان : أنت تضيفى عليه خيالك . هذا الرجل معتوه !

لويز : (عاتفاً) بل أنت المعتوه ان تظن هذا . ولكنه مع
ذلك ، سيكتشف لاسبانيا الطريق الغربى الى الشرق .

كاستيلو : او يزل من فوق حافة الارض ! واراهن انك لن تقبل
الذهاب معه حتى مقابل ذهب جزر الهند كله .

لويز : ستخسر الرهان .

جوان : أنا اتوى الذهب معه فعلاً ، (الكل يندهشون) ولكن
ليس في رحلته الاولى . فأننى لكى اضع سيفى رهن
عمل ، لابد أن اضمن أنه سوف يكون لمجد اسبانيا .

- ولا جدوى هناك في المقامرة بالحياة على أحلام .
- لويز : لا جدوى لشيء إلا في هذا . . أنت من أبناء الشرق
أيها العربي . حدثنا عن الخان الأكبر ، وملك شيبانجو
وكائى وكامبولوك ، وعن المنازل بسقوفها المصنوعة
من الذهب ، وعتباتها المرصعة بالزمرد . لابد أن
قومك قد سمعوا بهذه الأعاجيب .
- ميندوزا : نعم ، فليتفن بهذه الكنوز . (ولكن العربي يظل
صامتا)
- لويز : انتظر ، سأحدث اليه . (يذهب الى المؤخرة .
ويتكلم مع العربي الذى يرد عليه)
- مننديز : (تأثرا) هذا كله خيانة . ان هذا الحيوان قد نقض
السلام ، والعقوبة هي الموت .
- چوان : (ساخرا) فليتفن بالكنوز يا ديجو . ان الكنيسة
نفسها تحب الذهب !
- لويز : (عائدا . سعيدا متهججا) انه موافق يا چوان . .
لأثنى زميل له . سيتفنى بكنوز الشرق . انها قصة
رواها لأبيه شاعر جوال قدم من كائى مع قافلة .
(يسرع الجميع الى الإصغاء باهتمام ما عدا «دييجو»
الساخط و « قسنتى » المتجهج المنشفل الخاطر .
يعزف العربي بضعة آفام قليلة على العود) هس .
(يبدأ العربي فى الترنم بالشعر ، يصاحبه بالعزف
على العود . وتأخفهم ، فى البدء ، غرابة النغم ثم
يبدو عليهم بعد ذلك نفاد الصبر)
- أوفيدو : يا لله ، كان الذئب قد أصبح راعيا مريضا !
- لويز : هس .

- كاستيلو : (نافذ الصبر) ماذا يفنى ؟
- لويز : (مسحوراً • بغموض) هس ! هس !
- مننديز : (ينهض واقفا عند ما ينتهى غناء العربى فجأة • بصوت أجش) هذه صلاة شيطانية !
- لويز : (يضع يديه أمام عينيه ثم يحلق صوب النافورة في هيئة حلالة) لقد غنى عن كنوز — ولكنها أغرب مما تتوقون اليه . فهناك في بلد بعيد من بلاد الشرق — كائى اوتيبانجو لستأدرى — بقعة جعلتها الطبيعة بمزل عن البشر وباركتها بالسلام . انها غيضة مقدسة . كل شيء فيها يعيش في ذلك الوئام القديم الذى كان قبل أن يظهر الانسان على الأرض . استقر فيها الجمال رائعا اخاذا . كل صوت موسيقى للأذن، وكل منظر بهجة للعين . الأشجار تثمر فاكهة من ذهب . وفي وسط الغيضة ينبوع ... أجمل مما تتصوره احلام البشر . وفي مجموعة ألوانها تنعكس الحياة بكل جوانبها . وفي مياه هذا الينبوع ترح العذارى وتغنى حولها لا تتركها ، وكل متعتها أن تبقى بها حتى تصبح جزءا منها . هذا هو ينبوع الشباب ، هكذا قال لى . ولقد عرف حكماء هذه البلاد النائية ذلك الينبوع منذ عصور بعيدة . وهم يجعلون زيارته قبلتهم الأخيرة عند ما يرهقهم العمر وتثقل عليهم حياتهم . هنا يشربون فتسقط عنهم الأعوام كما يتهدل الثوب العتيق . ويعود الصبا الى الدهن والبلن ، فيقفز هؤلاء الشباب ، الذين كانوا كهولا ، وينضمون الى العذارى يرقصون . ثم يعودون

بعد ذلك الى الحياة ، ولكن بقلوب مطهرة ، لم تعد متاعبهم القديمة ترهقهم ، وقد زال عنهم الى الابد ما كان يثقل كواهلهم من هموم ، بل أصبحوا مقدسين يبجلهم قومهم . (متنها) هذه حكايته يا اصدقائي ! ولكنه اضاف الى ذلك ان من العسير العثور على هذا النبوع . فما يكشف النبوع عن نفسه الا للصفوة المختارة من الناس .

مننديز : (مهتاجا) هذه ونية !

او فييدو : اهلا كنزه ؟ ! انه ، والله ، يهزأ بنا !

لويز : حمقى !! الجمال فيه هباء . اناروا حكم ترن كالنحاس .

(مننديز يتسأل الى الخلف ، خطوة فخطوة ، صوب العربي . يسسل لويز بزجاجة) هيا ، فلنشرب ولنذهب جميعا الى كاثاي مع الدون كرسstof . لكم ان تحرثوا الأرض وتحفروها هناك بحثا عن الروث . أما أنا فسأبحث عن هذا النبوع .

چوان : (يشرب - غلاما بعض الشيء) اشرب وانسى الهراء المقبض ! يا للشيطان ! كانت افئنته تطربني الى ان جئت انت فحولتها الى هدر العجائز هذا . الشباب !! هل الشباب كنز ؟ ! وهل نحن اذن جميعا ، عدا « فسنتي » ، ثروة لا تقلد ؟ ! قسما بدم المسيح ، يكفي المرء ان يلقي نظرة ليرى كم نحن فقراء !

لويز : فقراء في الروح ! اتنى افهمك يا چوان .

چوان : ينبوع الشباب ! كان الله في عوننا . ثم الحب ايضا ! كنت اتنى لو تفضى ، بدلا من هنا ، يجيوش الحان الأعظم ، وسلطانه . (ثم جالبا الى لويز) دائما تروى

الحكايات لمن لا يقدرها . لقد كان هنا رجل يتمنى ان يشتري بالآلآء قطرات من ذلك ينبوع نفسه !

فسنتى : (وقد زحف الآن ناحية جوان في اللحظة المناسبة ليسمع الكلمات الأخيرة - في احتياج بارد) مندلحظات كنت تمرنى بالسـن . والآن تجرؤ . . . (يصفع جوان على وجهه . ويستل كل منهما سيفه)

لويز : (محاولا التدخل) استطفكم بالله أيها الأصدقاء !

أوفيلدو : (باهتمام شديد) مبارزة !! (يردد الآخرون هذا . وفجأة ترتفع صرخة متحشجة من مؤخرة السرح . ويظهر مننديز خارجا من الظلال ، وفي يده خنجر ، وعلى وجهه امارات انتصار متعصب متهوس . ويقف الآخرون مبهورين وقد نسوا المبارزة)

مننديز : (يفهد خنجره) ذبحت الكلب ! آن الأوان لذلك !

لويز : أيها المتعصب المنكود !! (وفي غضبه يحاول أن يلقى بنفسه على الراهب ، ولكن جوان يمسك به ويضطره الى الجلوس على احدى الوسائد . ينهار لويز باكيا)

مننديز : (باردا في ازدياء) ماذا ؟ جندى من جنود المسيح يبكى على عربى !!

جوان : (متجهما) صمتا يا دييجو ! (ثم يقطب وجهه - في اقتضاب ، وفي لهجة من ينهى موضوعا على نحو يسكت كل احتجاج) ان مرحضا يخيم عليه طالع نحس ! انه ملوث بالدماء ! اسعدتم مساء . (مستديرا الى فسنتى) الى القـد ! (ينحنى « فسنتى » وينصرف بصحبة مننديز . ومن خلفهما تسير جماعة النبلاء الشبان ، وهم يصخبون بالنقاش حول المبارزة القائمة . .)

جوان : (يصر المرح نحو لويز ويضع يده على كتفه ساخرًا
ولكن في نبرة ملاطفة) هيا يا لويز ، لقد مات أخوك
المنشد ، لن تنفعه دموعك . بل لعله الآن يشرب من
ينبوع الشبَاب في أرض الأحلام — هذا اذا لم يكن في
الجحيم .

لويز : (رافعا رأسه) جوان ، هل تهزأ دائما بالجمال ،
بينما قلبك يقول أنك تكذب ؟ !

جوان : (مقطّبا) ان في قلبي وطنى إسبانيا — وطموحي .
وكل ما عدا ذلك ضعف . (مغبرا لهجته — بلا احتفال)
نعم ، لقد كنت مصيبا يا لويز . لقد تبين فُسنتي
شخصيتها . وهكذا ، فهي المبارزة . ساصيبه في
فخذه تم أبعث به الى بيته ليلزم الفراش . عند ذاك
ستسهر هي عليه وتحبه — وتكرهني أنا بوصفي
قاتلا . ولكن ، هناك شيء جميل يموت ، وأنا حزين
يالويز . (مستعيدا تماسكه ، وياخذ كاسا من النبيذ)
هيا . انس الهراء المحزن ! سنشرب نخب الرجل
مع الدون كرسوفر — ونخب المعارك امام مدائن
كاثاي الذهبية ! !

لويز : (مستعيدا مزاجه — يخطف زجاجة) فليحرق
الشیطان مدائنك ! أنا أشرب نخب ينبوعی !

جوان : في صحتك أيها السيد الشاعر الكذوب !

لويز : وفي صحتك أيها السيد الشره الى الجبد ! (يضحكان)
ويقرعان الزجاجاة بالكاس ، ويشربان بينما تنزل
الستار)

المنظر الثاني

(بعد عام - السفينة المعقود لواؤها لكوليس
في آخر يوم من رحلته الثانية . يبدو جانب
من السفينة يكشف عن السطح الرئيسي في
وسطها والصارى الأكبر ، والشرع الأكبر
وعليه شعار « صليب مائلة » ، والسطحين
العلويين في مؤخرة السفينة ، والشرع الثالث
الشكل على سارية المؤخرة . السلم الخشبي
في جانب السفينة الأيمن هو وسيلة الانتقال
من سطح الى آخر .

الوقت قبل طلوع الفجر مباشرة . السفينة
تسير سيرا متزنا في بحر هادئ السطح .
ومصباح كبير في منتصف السطح الرئيسي ،
ومصباح آخر في أسفل فوق الجبال الى يسار
السفينة ، وثالث فوق الصليب المعلق على
المؤخرة . السفينة مزدحمة بالناس . النبلاء
في السطح الرئيسي يرتدون أزياء فاخرة ،
ومعهم أسلحتهم . معظمهم نيام ، مهددون
على سطح السفينة متسلحين بأرديتهم ، أو
متزاحمين بظهور حنية ، مستنديين الى الصارى
أو حواف السفينة البارزة . ولكن جماعة

صغيرة ، فيما يبدو ، قد اتفقت الليل ساهرة
 وهم جالسون القرفصاء . يلبسون النرد في
 ضوء الصباح . وتبدو وجوه اللاعبين شاحبة
 متوترة ، وعيونهم منغلة . ومن البارزين
 بينهم «أوفبيدو» و «كاستيلو» و «ميندوزا»
 و «لويز» .

وعلى السطح الأول للمؤخرة ، نرى الرهبان
 نائمين وكلهم من الفرنسيين . وهنا أيضا
 أربعة من الهنود الذين اعتنقوا المسيحية ، ممن
 جلبهم كولبس معه . ويرتدون ضروبا
 متناقضة من الثياب ، وقد بدوا اتصاف
 متحضرين واتصاف متوحشين . ونراهم
 متكومين في الركن الأيمن ، ليسوا نائمين ، بل
 متجمدين في بلادة دون حول ولا قوة . وعلى
 السطح الأعلى يرى «جوان» واقفا الى جوار
 الملاح القابض على الدفة)

- لويز : (متحمسا) جوز ولا فرد ؟
 أوفبيدو : فرد (يلعبان فيخسر لويز)
 لويز : لقد افلست ثانية ! (بزجاجة ياس مضحكة) الحظ !
 الحظ كالمهر المرتزقة فهي تزدري الفقراء . (ياخذ
 النرد ليلقي به) مرة أخرى !
 أوفبيدو : (متفهما) لا . انت مدين لى باكثر مما تستطيع
 أن تدفع .

لويز : سأصبح فى غنى قارون . ان الدون كولبس يقول
اننا سنرى البر اليوم : الجزر الهندية ، وجزر
التوابل ، وشيبانجو ، وكاتاي ، ولست أدري ماذا
ايضا . . انا اقامر بثروتى التى سأحصل عليها فى
المستقبل ، ضد ثروتك . هيارمية أخرى مقابل اى
شئ ترغب فيه !

اوڤييدو : (بحفاف) مقابل ذهب ! ذهب اراه والمسه !
لويز : يا للشيطان . لا بد ان أقترض من چوان اذن .
(ينهض واقفا)

اوڤييدو : لن يشكرك على ايقاظك له لكى تقترض منه .
لويز : اتظن انه ينام وارضه الموعودة بهذا القرب ! ؟ انه
واقف عند مؤخرة السفينة فى مكان القبطان ، يرقب
بنفسه ظهور الأرض ، خشية ان تفوت الملاح المراقب
رؤية كاتاي !

كاستيللو : ان چوان فائض الحماس . سيثير غيرة كولبس .
ميندوزا : لقد اثارها بالفعل ! فمن الواضح ان كولبس يقلل
من شأنه .

اوڤييدو : هذه سياسة . انه يعلم ان چوان قد حرم الخطوة
فى البلاط منذ المباراة . ان قائد اسطولنا ينشر
أشعرته مع الريح .

كاستيللو : لقد دفع « چوان » ثمننا غاليا لاصابة فستنى - مع
انها مجرد وخزة دبوس لم تنزف دما .

ميندوزا : والفضيحة ؟

لويز : (ساخلا) كلها زيف . ضغينة السنة الحاسدين !!
لقد اعتذر فستنى نفسه الى چوان . اما السيدة

فقد رأيتها مع فئسنتى حين كنت فى قرطبة ...
 زوجين لا تقع العين على أوفق منهما . بل لقد أضيع
 انهما ينتظران مولودا .. (جوان قد هبط من سطح
 السفينة الخاص بالأميرال فى المؤخرة ، و مر من بين
 الرهبان النائمين ، و يظهر الآن فى ضوء المصباح المعلق
 على الجبال عند مقسمة السلم المؤدى الى السطح
 الرئيسى .. يهتف لويز فجأة) أهذا انت يا جوان ؟
 تعال ساعدنى ! ان حليف الحظ هذا (ويشير الى
 أوفييندو) قد كسب كل شيء عدا جلدى .

جوان : (ضاحكا) قامر اذن ينبوع الشباب الذى ستعثر
 عليه — غدا ! لو أنك بعث مائه بالبرميل لأصبحت
 أغنى رجل فى اسبانيا (النبلاء يضحكون)

لويز : (باشمئزاز حقيقى) يا لها من فكرة تجارية ، ومنك
 انت ! (ثم هازلا) حذار ! .. عندما تطفح عليك بقع
 التسيخوخة فستأتينى مستجديا . (ثم ضاربا النرد
 بين يديه) ولكن هيا ، أقرضى ذهباً لرمى عليه
 النرد رمية انتقام أخيرة ! (ثم تأتية فكرة مفاجئة)
 و انت الذى ترمى لى النرد . ان نجمى محتجب وراء
 سحابة .

أوفييندو : ليس هذا عدلا ! ان جوان يربح دائما !

جوان : (مقطبا) ما هذا وقت مقامرة .

لويز : (بالخاح) مرة واحدة يا جوان .

جوان : (واضحا على مضض) مرة واحدة فقط . المكسب

لك . ولتكن الرمية فالألى . (يخرج ذهباً من

كيسه . ويلعب هو وأوفييندو . أوفييندو يربح

فتسرى همهمة اندهاش)

أوفيدو : (في جنل) انا الرابع . هذه اول مرة أغلبك فيها
يا جوان .

جوان : (ناهضا) فال سيء ، (ساخرا) ولكن لابد أن الفال
هنا بالعكس ، في هذا الجانب السفلى من الأرض .
ميندوزا : (نصف خائف) أيمكن أن نكون معلقين هنا بأقدامنا ،
ورؤوسنا الى أسفل دون أن ندرى ؟

كاستيللو : هاها . ان صاحبك الإيطالي قد عاد من رحلته
الاولى سالما ، فلا يمكن أن ننزلق من على سطح
الأرض ، فيما يبدو .

أوفيدو : قد يكون كولبس كاذبا .

ميندوزا : (في وحشية) انه مدع وضع المنبت . ولقد دلل
على أصله بجشع المطالب التي قدمها الى الملك .
فيم يا ترى كان يفكر الملك والملكة .. حتى يجعلوا
من هذا الأجنبي المبتدىء اميرالا ونائبا للملك ؟

جوان : (زاجرا في عبوس) ليس لنا أن نتسائل (يصمت
هنيهة ثم يضيف) ان مشروعه خدم اسبانيا خدمة
طيبة . وهو الآن قائدنا . وكفيينا هذا . (يدير ظهره
اليهم ، ويسير الى الجانب الأيمن للسفينة حيث
يقف الى جانب الجبال يتطلع الى البحر ، ويتبعه
النبلاء ببصرهم لحظة في سكون يسوده الحزى)

كاستيللو : (في سخريه) أنت مسيحي حق يا جوان .. اذ
تحب عدوك .

أوفيدو : (يتأهب) اطفئوا المصباح ، ودعونا ننام ، وسيوظنا
الفجر . (يطفىء ميندوزا المصباح . الجميع ، ما عدا
لويز ، يتدثرون بارديتهم ويرقدون على سطح

السفينة . ويجيء لويز الى جوان (

لويز : (في اذراء) أنظر الى هؤلاء الأغبياء . انهم لقادرون على النوم والشخير حتى في يوم الحساب . (واذا يبقى جوان صامتا) بماذا تطعم — كائى والمجد ؟

جوان : كلا . (ثم فجأة) عندما نزلت سمعت اسم فسنتى وإشارة الى مولود . ماذا كنت تقول ؟

لويز : شائعات قرطبة . روت لى أمى أن ماريا كانت تقيم الصلوات عسى أن ترزق وريثا . وتقول الشائعات أن الدعوات قد أجيب .

جوان : (باخلاص عميق) ألا فليحقق الله هذا . ستكون سعيدة إذن . (بضحكة ساخرة) ألم أقل لك تلك الليلة أن مبارزتنا ستصلح ما بينهما ؟ (فى اتران) ولكن الذى دفع الثمن ، أنا . حسن ! ماذا يهم الثمن ما دامت ماريا سعيدة ؟

لويز : (مؤكدا) مفخرة واحدة ويصبح البلاط كله ، من جديد ، عند قدميك .

جوان : (هائلا رأسه) سنكون بعيدين عن إسبانيا . والبعيد من العين بعيد عن القلب . وسيكون كوليس الملك هنا ، ونحن الاثنان ، بالطبيعة متنافران . . (يسمع ضجيج آتيا من السطح العلوى فى مؤخرة السفينة ، وتبين شخصا طويل القامة ، قادما من السلم الموصل من القمرة الى سطح السفينة . ويتحرك هذا عائدا حتى يكشف عن شخصه ضوء المصباح المعلق فوق الصليب . انه كوليس . يرتدى زيه كاملا ، ولكن دون قبعة فوق شعره

الطويل الأبيض . وهو شخص مهيب نبيل ، عليه
ملاح السلطة والامرة ، يفيض وجهه بذلك الخماس
المتهب الذى يتسم به الذين يكرسون حياتهم
للنين)

لوير : (جاذبا جوان الى ظلام المؤخرة) اذا ذكرت الشيطان
اتاك .

(يقفان يرقبان وينصتان تحتفين عن سطح المؤخرة)

كولبوس : (مخاطبا ملاح الدفة) هل تسير فى الطريق المرسوم ؟
الملاح : غربا الى الغرب يا سيدى .

كولبوس : (متطلعا فيما حوله) اما يطلع هذا الفجر ! (ياتى
ناحية الخافة ، وينادى الى اسفل حيث الرهبان -
فى صوت خفيض) ايها الأب مننديز ، هل انت
مستيقظ ؟

مننديز : (ينهض مسرعا من بين الرهبان النائمين) هانذا
يا صاحب السعادة (ويصعد الى السطح ويقف
ينتظر فى احترام)

كولبوس : (بغلظة ودون اكتراث) لابد ان هناك خطأ فى خريطة
توسكانيلى . كان ينبغى أن نرى البر منذ وقت .
(هنيهة صمت . يذرع المكان جيئة وذهابا)
ستشرق الشمس عما قليل . انها فى هذه المناطق
تفترق قفزا من الظلام (صمت . ثم فى افعال واضح)
رحلة مضنية ايها الاب . ارواحهم دنسة هؤلاء
النبلاء . انهم يعتبرون هذه الرحلة وسيلة يسيرة
للحصول على الثراء الوفير ، لا جهادا مقدسا فى
سبيل المجد الالهى .

مننديز : (في اقتضاب) انهم ذوو شجاعة . وقد أثبت
كثيرون منهم مقدرتهم في الحرب . چوان پونس
دى ليون مثلا .

كولبس : (ممتعضا) هذا وغد جسور . متهاك على المبارزة .
لويز : (في انفعال هامس) فليسحقه الشيطان .

چوان : عاقبة اخرى لتلك المبارزة المشؤمة .
مننديز : (في ايجاز) لم تنصفه يا صاحب السعادة .

كولبس : اوه . اننى اسلم بأنه حائز على كل الصفات ، الا تلك
التي وحدها تكسبها جميعا صفة الفضيلة - اعنى
التواضع الورع . ليس فى هذه الرحلة الكبرى
مكان للأنايين الذين لا يسعون الى غير مصالحهم
الشخصية . ينبغي أن تؤمن جميعا بأننا أدوات
صغيرة لتحقيق الإرادة الالهية المقدسة (يتوقف
وفجأة) لكننى لم استدعك هنا للحديث عنه (بعد
هنيهة . فى قنوط) ان روحى يتقلها عبء لا تطيقه .

مننديز : (فى جفاف) أترغب فى الاعتراف ؟

كولبس : (مندهشا) الاعتراف ! (فى نبرة عالية ، رنانة)
اجل ، ولكن للناس جميعا . أن افواههم مكتظة
بالاكاذيب ضدى . يقولون ان ما طلبته لقاء اكتشافى
يثبت جشعى ووضاعتى . هؤلاء الأوغاد ! ماذا
يعرفون عن قلبى ؟ أمن اجل نفسى أريد الثراء ؟
كلا . وإنما أنا وسيلة الله المختارة . أرشدنى الله
الى جزره الهندية . وأنا فى حاجة الى ذلك السلطان
الذى يجلبه الثراء ... فى حاجة اليه من اجل المجد
العالى ، لا مجدى أنا . (يزداد تهلا) أن فى قلبى

حلما يا ابتاه . اصغ الى . منذ باكورة شبابه وأنا
امقت الكفرة . لقد حاربت قراصنتهم ملاحا في
سفن جنوا ، وحينما رايت قساوتهم وضراوتهم
قد قطعت تجارتنا مع الشرق ، صليت لله اطلب
حربا صليبية واحدة ترد البحر الأبيض الى احضان
العالم المسيحى . وكانت أعظم صلواتى بتلا تلك
التى رفعتها من أجل استنقاذ ارض المسيح من
الدينس (يرسم علامة الصليب ، وكذلك يفعل
مننديز . ثم يفضى هو مسرعا في جغل وابتهاج)
والآن ها هي دعوتى تجاب . وبنصيبى من ثروة
الهند وشيبانجو وكاتاي سأجرد جيشا ... اشن
به آخر حرب صليبية . لقد وعدت بها قداسة
البابا . خمسة آلاف رجل ، وأربعة آلاف حصان ،
تتلوها قوة مماثلة بعد خمس سنوات . سأعيد
غزو الأرض التى حظيت بقبر المسيح المقدس ، في
سبيل العقيدة الحقبة . ومن أجل هذه الغاية المقدسة
أكرس كل حياتى و ثروتى وقوتى (يقف محذفا الى
السماء بتلك النظرة التى تتالق بها عيون التحمسين
الدينينيين)

مننديز : (في جفاف) ان مثل هذا الطموح الورع يرفع
منزلتك .

چوان : (عاجزا عن ضبط نفسه ، يقول ساخرا) لقد انتهت
الحروب الصليبية ، ولكننا لم نفز بعد بثروة الشرق .

كولبس : (كالما لدغ يقول في غضب) من ذا الذى يجسر ... ؟

چوان : (في كبرياء) نبيل من اسبانيا يفكر في عظمته ،

بينما تحلم أنت بجنوا وروما . جندي من العصر
الحاضر ، لا شبح من أشباح الصليبيين (ثم بسخرية
ونقاد صبر) بحق دم المسيح هل أصبح كل قوادنا
أنصاف رهبان . . ؟! كان هناك وقت لذلك عندما
حاربنا العرب . أما الآن فإن عهدا جديدا يشرق
فجره على أسبانيا بامبراطورية عالمية . أنك اذ
تميش في الماضي انما تكرر مسقبل أسبانيا للتعصب .

كولبس : (في غضب) وقح !

جوان : (في حمية) كلا ! أنا احترمك يا كولبس ، ولكن
لى حلمى أنا الآخر . تستطيع أسبانيا أن تصبح
سيدة العالم ، وأعظم من روما القديمة ، اذا استطاعت
أن تجد قوادا يكسبون لها الفتوح . ويعرفون ايضا
كيف يحكمون بروح السماحة والاعتدال (يضحك
ضحكة مريرة ، ساخرة) ولكن يا له من وقت لمثل
هذا الحديث ! أنظر الى رجال هذا الأسطول .
الآن ، والشرق على وشك ان يتكشف لهم ... أنا
أوافقك يادون كرسوفر ، انها رحلة مضية حقا ،
مغامرون متشوقون الى أسلاب وغنائم يحصلون
عليها بطعنة أو طعنتين . نبلأ أسبانيا يطمون احلاما
جشعة مفعمة بشراء يؤول اليهم بفضل مولدهم .
ورهبان يتحرقون الى آلات يعذبون بها رعايا مخلصين
للتاج ويحولونهم بها عبيدا للكنيسة . ويتولى قيادة
هؤلاء أنت يا دون كرسوفر ، يا من ستنهب
وتسلب لتبعث الحروب الصليبية من مرقدها .
نهبون كلكم فردا فردا . اليس فينا واحد يرى

فيها أرضا يشيد فوقها ويبنى ؟ سننهب وننهب
الى ان يضمننا النهب فنخر فرائس سهلة امام
نهايين اقوى منا . الا فليرحم الله هذه الأرض حتى
يهلك آخر نهاب في الدنيا ! (وبينما هو في حديثه
تكون الظلمة قد خفت الى حد ملموس)

كولبس : (تأثرا) من انت .. تقدم . أنت لا تجسر على ذلك .

جوان : (يقفز الى سطح المؤخرة ، ويتقدم الى السلم صاعدا
الى الاميرال في كبرياء) انه أنا ، جوان پونسدى ليون ،
ماذا لا أجسر .. اتريد تحت قيادتك رجلا ، ام
حجابا وخدما ؟

كولبس : (يحاول ان يكتم غيظه) صمنا (يتردد نداء طويل
كالنواح « الأرض اماننا » آتيا من ناحية الصارى
الكبير . وعلى الفور يسمع النداء نفسه آتيا من
بقية سفن الأسطول . يسود الهرج والمرج . يقفز
الجميع واقفين ، اتصاف نيام يحملون فيما حولهم
مشدوهين . وبالإحساس الفريزى ، يدرك الهنود
الأريصة ما حدث ، فيتعلقون بحافة السفينة ،
يحذقون عبر المياه في حنين عميق . ويتقاطر الى
السطح حشد من البحارة والأتباع لم يكملوا ارتداء
ملابسهم ، قادمين من أسفل . يسمع خليط من
الصيحات . يتطلع كولبس الى أعلى ليرى الناحية
التي يشير اليها الراقبون ، ثم يستدير الى الجانب
الأيمن للسفينة ، ويقفز «جوان» الى سلم الصارى)

المجموعة : الأرض .. الأرض .. أين ؟ لقد سمعت النداء .
لقد قال المنادى .. الأرض . الى أين يشير ؟ انظر

اين يتطلع الأمiral . عندما تظهر الشمس ...
(وفجأة تكتسح سطح السفينة أشرطة من ضوء
ذهبي مشرب باللون القرمزي . يهتفون جميعا)
الشمس .

جوان : (مشيرا) هناك .. اننى اراها . فى حالة من الذهب
والأرجوان ! اسبانيا الجديدة العظمى .

الجميع : (يتزاحمون الى الجانب الأيمن للسفينة ومقدمتها .
يزبحون الهنود من الطريق ، ويدفمونهم يمينا
ويسارا . ويلقون بهم جانباً فى ازدياء ، مصحوبين
باللعنات والشتائم ، حتى ينزوى هؤلاء فى المؤخرة
وقد حيرهم ذلك وملاهم رعباً . وهناك يجلسون
قائطين) أين .. اننى أرى . أين ؟ هناك . هناك
كثاى . شيبانجو . أهى كثاى ؟ ابن المدن الذهبية ؟
أهى شيبانجو ؟ جزر الهند . جزر التوابل . أرض
ماركوبولو (يتزاحمون جميعا ، وهم يتدافعون
فيما بينهم ، ويمدون أعناقهم ، وقد امتلات عيونهم
جميعا - خدما وبحارة ونبلاء وقسسا - بنفس
النظرة المتطلعة فى جشع ، وشوق ، الى السلب
والنهب)

جوان : (فى جمل) كثاى أو شيبانجو أو جزر التوابل .
ماذا بهم ؟ ستكون اسبانيا الجديدة العظمى (يهتف
الجميع باصوات عالية)

كولبس : (محاولا أن يخمد الضجيج) صمتا . قلت لكم صمتا .
(مثبتا عينيه فى عبوس نحو جوان فيبدو فيهما
العداء غير مقنع - لاأما) الأرض أرض الله . فلترفع

شكرنا لله ، اركعوا . انى آمركم . ارفعوا الصليب .
(يرفع الرهبان صليبهم . يركعون . ولكن النبلاء
والجنود يترددون فى انتظار « جوان » كأنما رأوا فيه
قائدهم الحقيقى)

جوان : (يقفز من مكان على حبال السفينة ويستل سيفه
- فى جنل هاتج) هذا أيضا صليب ، صليب
الجندى - صليب اسبانيا (يفرز حد سيفه فى
خشب السفينة ، ويركع أمامه . يحنو حذوه كل
النبلاء والجنود فى موجة عارمة من التهافت
والإشارات العنيفة . كلهم راكعون الآن أمام
صليبهم . سيوفهم للارتعشة أمامهم ، وقد ارتفعت
مقابضهم فوق مستوى رؤوسهم)

كوليس : (على ركبتيه - ناظرا الى السماء فى تبتل) لك
الشكر يا رب ..

(يبدأ الرهبان فى الترتيل . ويشارك الجميع فى
انفعالهم هذا ، فيكتسب ترتيلهم خليطا من الفوضى
والتوتر . جوان لا يشارك فى الترتيل ، بل يحرق
ناحية الأرض المائلة فى الأفق البعيد)

ستار

الفصل الثاني

الناظر ٣ و ٤ و ٥ و ٦

المنظر الثالث

(بعد عشرين عاما أو نحو ذلك - فناء
قصر الحكام ، في « بورتوريكو » . أزهار
وشجيرات ، وأشجار جوز الهند والبرتقال
واللوز . وفي الوسط نافورة كبيرة أثيقة
شديدة الشبه بنافورة المنظر الأول . ويحيط
بحوض النافورة ممشى ضيق مرصوف .
تتفرع منه ممشى أخرى تؤدي إلى مختلف
الداخل . وإلى اليمين واليسار أبواب تؤدي
إلى داخل القصر . وفي الوسط إلى المؤخرة
نرى المدخل الرئيسي إلى الفناء ، ويؤدي إلى
الطريق .

الساعات الأخيرة الثقيلة بعد ظهر يوم
خاتق الحرارة . الفناء يتلظى بالحرارة ، ومياه
النافورة تتلأل في الجو الحار .

(« جوان » جالس على المقعد الحجري
أمام حوض النافورة ، مرتديا الزي الرسمي
الكامل لمنصبه كحاكم البلاد . وجهه الآن
يحمل معالم السن والفضون والضمور .
شاب شمر رأسه ولحيته . عيناه تحدقان
أمامه غارقتين في حلم فاشل . والخطوط
المريرة مرتسمة حول فمه المطبق . يدخل

لويز من اليسار في المؤخرة يرتدى مسوح
 الراهب الدومينيكي ، ويدل وجهه على الأعوام
 التي مرت ، ولكنه قد اكتسب الآن تعبيراً
 هادئاً راضياً ، كأنما أصبح أخيراً على وفاق
 مع نفسه . ويهبط متجهاً الى جوان ويضع
 يده على كتفه (

جوان : (يتنبه من شروده - ثم يحيى صديقه بابتسامة)
 هذا أنت أيها الأب الموقر ! (ويضغط على حروف
 الكلمة الأخيرة ساخراً)

لويز : (في صفاء) أجل أيها الحاكم العظيم (يجلس الى
 جوار جوان . ضاحكاً) أنت تبدو كطفل ساخط
 يا جوان . هيا ، ألم يحن الوقت بعد ، وقد انقضت
 سنوات خمس ، لكى تغفر لى ، أن أصبحت راهباً
 دومينيكياً .

جوان : (في مراة) اغفر لصديقى أن يهجرنى الى عدوى !
 لويز : (محتجاً) اوه لا تقل هذا (بعد هنيهة صمت ،
 يتنهد ويقول) لقد كنت دائماً تحلم بكائى . وأنا
 بم كنت أحلم ؟ ماذا فعلت بحياتى ؟ لقد كنت وغداً
 مدعيًا ، لا هدف له فى الحياة . لا هو بالشاعر
 ولا هو بالجندي ، لا مكان فى الأرض ولا سلام فى
 الروح . لم يكن هناك معنى لحياتى حتى بالنسبة
 الى نفسى ، الى أن هدانى الله الى ارادته المقدسة .

أنا الآن أعيش في رحاب الحق . لكي تملك شيئاً
لا بد أن تنبذ شيئاً .

جوان : ما أسخف الحياة اذن لو كان ذلك حقاً ! (بعد فترة .
مفتافلاً) أنا أخوض المعارك . وأنتم ، أيها الرهبان ،
تسرقون الفنائم . أنا أحاول أن أبني ، فتقيدون
أنتم يدي وتهدمون .

لويز : (محتجاً) أنت تتحدث عن « ديجو » وأمثاله .

جوان : أنت تستخدم الرحمة في تحويل الناس إلى المسيحية ،
وهو يستخدم القسوة ، ولكن النتيجة واحدة .
إن عملية تعمد الهنود هذه ، عملية قسرهم على
ازدراء الصليب رغم أنوفهم ، ثبت أنها غلطة بشعة ،
لقد سحقتم أرواحهم وأضعفت أبدانهم . وأصبحوا
الآن عبداً على أسبانيا بدل أن يكونوا لها خدماً نافعين .

لويز : لقد سحقهم جيشك أولاً .

جوان : كان ينبغي أن نفتح بلادهم ، ولكن ما كنت لأزيد عن
ذلك (غاضباً) ها نحن نتناقش في هذا الأمر للمرة
الألف . لقد فات الأوان . ولم يعد للكلام جدوى .
(يتنهد متعباً) نحن نفعل ما ينبغي علينا ، ومستواري
الرمال أجسادنا وأفعالنا (بابتسامة) ثم إنه يوم
قائظ الحر لا يطلق . هات الأتباء . أ يصل اليوم
ذلك الأسطول القادم من أسبانيا ؟

لويز : لقد رأيتهم الآن بحرين صوب الميناء بكل سرعة .
سيلقون مراسيهم عما قليل . (تقطع عليهم الحديث
ضجة أشخاص يقتربون إليهم من الخارج . يدخل
أوفريدو والراهب كويسانا وهو فرنسيسكاني ،

يتجمعهم الزعيم الهندي « ناتو » يحرسه جنديان
 بسيف مشرعة . « كويسادا » راهب شاب ،
 نحيف ، له عين المتعصب المتهبة ووجهه الضامر
 المتقعر . أوقبيدو الآن مسن ، ولكن دون إشارة
 تدل على تغير في شخصيته . « ناتو » هندي طويل
 القامة ، قوى البنيان ، في الخمسين من العمر أو
 نحو ذلك . ومع أنه متقل بالسلاسل ، إلا أنه يسير
 منتصب القوام وعلى وجهه أمارات اعتزاز وتباعد .
 ويضع على رأسه غطاء من الريش . طلى جسمه
 ووجهه بالألوان . وتزين بالعقود حول عنقه . وهو
 عارى البدن إلا من غطاء للعورة ونعلين في قدميه (

كويسادا : (بوحشية ورعونة) أنا اطالب بتنفيذ العدالة في هذا
 الكلب .

جوان : (في برود وفي كبرياء) تطالب !

كويسادا : (في كراهة لم يحسن اخفاؤها ، وإن كانت طريقة
 جوان قد أفزعته) اغفر لى حميتى فى خدمة الله ،
 يا صاحب الفخامة . أرجو تنفيذ العدالة (ثم متحدثا)
 ولكن ليس من عادة الكنيسة أن تقف موقف الرجاء .

جوان : هذا أسوأ (فى تجههم) ما جريمة هذا الهندي ؟

كويسادا : قبيلته ترفض أن تدفع الضريبة . وهو نفسه قد
 تجاسر ورفض التعميد المسيحى .

جوان : (فى برود) سأستجوبه أنا (يتردد كويسادا وهو
 يصطخب بالفضب فى أعماقه . جوان يقول فى خشونة)
 يمكنك أن تنصرف .

كويسادا : (ينحنى كاظما غضبه) نعم يا صاحب الفخامة .
(ينصرف) .

چوان : (مخاطبا أوفيدو في احتقار أكيد) الديك انت أيضا
تهمة ضد هذا الهندي ؟

أوفيدو : (في غضب) التمس العدالة ، هؤلاء الكلاب لا يريدون
أن يدفعوا ما عليهم من ضرائب . ونحن الذين نملك
الاقطاعات لا نستطيع أن نجعلهم يعملون فيها الا
باستخدام القوة التي قضيت انت بالحد منها . فلم
أذن لاتعاقبهم بان تجعلهم يعملون لدينا وفاء لديونهم ؟
وبهذا تدفع للحكومة انصبتها ، ونجد نحن عمالا
لمناجنا وحقولنا .

چوان : (وقد ثار اشعثا زاه) ليست هذه فكرة مبتكرة
يا أوفيدو . فانت تعلم جيدا ان هذا هو نفس الخطأ
الذي ارتكب في مستعمرة « اسبانيولا » . ان ذلك
معناه الاستعباد . وهي وسيلة تقضى على الغرض
المنشود منها . ان الهنود يموتون تحت السياط ،
ومعهم تموت اعمالك . (في احتقار) اتظننى كولبس
حتى تطلب الى ارتكاب هذه الحماقة ؟

أوفيدو : (في ترفع وتعال) هل ترفض ؟ (يذهب الى المؤخرة
حيث يستدير اليه مهندا) خذ حذرك يا چوان .
سيأتى يوم الحساب . عندما يعود ديجو من اسبانيا .
(يخرج) .

چوان : (مقتظا) ديجو .. ماذا تعنى ؟

أوفيدو : (بالتسامة تشف) لا شيء . وداعا يا دون چوان .
(يخرج) .

چوان : (بصحكة مريرة) هذا هو جزائى . تبا لذلك كله .
وما الفائدة ؟ ... (فجأة يبدو كقنه يرى « نانو »)
للمرة الأولى . ويحلق كل منهما فى الآخر (لقد
نسيته . الست أنت نانو زعيم آخر قبيلة قهرتها ؟
(اذ يبقى الهندى صامتا . يقول بلهجة أمرية)
تكلم ..

نانو : كانت الشياطين تحالفك . حرقت قرانا . وقتلت
نساؤنا واطفالنا - زوجاتى واطفالى .

چوان : (مقطعا) هذا يخالف لأوامرى . ولكن ، مرة أخرى ،
ما الفائدة ؟ من مات مات . لقد فات الأوان . (بعد
فترة - بنوع من السخرية فى النفس ، وفى تعب)
ألم تسمع أبدا من كاتاي وشيبانجو ؟ أتعرف بلادا
واسعة تقع الى الشرق وفيها ناس كثيرون ، وقرى
كبيرة بها أسوار عالية .. وذهب كثير ؟

نانو : أجل ، سمعت .

چوان : (مندهشاً يسأل باهتمام) آه ، واين هى ؟ (يشير
نانو ناحية الغرب)

لويز : (لاهيا) هناك حيث يوجد ينبوع الشباب ، ينبوع
أيام خمري ولهوى .. هناك فى أرض الأحلام .

چوان : (بنوع من الجد) انهم يقولون انه توجد بين هذه
القبائل اسطورة من ينبوع مماثل (ثم مخاطبا « نانو »)
بإتسامة ساخرة) ان صديقى هذا استبد به القلق
فى انتظاره الخلود فى السماء ، وهو يفضل أن يفوز
بذلك هنا ، على الأرض .

لويز : چوان .

- جوان : فهلا أخبرته أيها الزعيم الجبار عما اذا كان هناك ينبوع يستطيع المسنون من الرجال ان يستحموا فيه او يشربوا منه فيصبحوا شبابا مقاتلين من جديد ؟
- نانو : (لدهشة كل منهما) اجل . هكذا يقولون . ولكن ليس هنا . بل في وطني . وهي بلاد لا نهاية لها . لقد روى قساوستنا هذه القصة ، وكنت صغيرا عندئذ . لقد أسرت في الحرب وجاءوا بي الى هنا . وتبناني احدهم . ولم اعد أبدا الى بلادي .
- جوان : (غارقا في التفكير) هكذا ! واين هذه البلاد ، موطنك ؟ (ناو يشير كما سبق له أن أشار) واين كائى ؟ والينبوع ، أهو هناك ؟
- نانو : (بعد لحظة تردد) نعم . ان قومي يسمونه « ينبوع الحياة » .
- لويز : (وقد أثاره الحاضر) اسم جميل (مرتببا) وما اظن احدا يستطيع العثور عليه .
- نانو : هؤلاء الذين تحبهم الالهة يستطيعون ان يجدوه .
- جوان : (باحتقار) آه ! حيلة الشعراء العتيقة — التملص من الحقائق (مستديرا الى لويز) ا تذكر العربى الذى كان معنا تلك الليلة في غرناطة ؟ « فما يكشف الينبوع عن نفسه الا للصفوة المختارة من الناس » . هكذا قال . هذا الصدى هنا يردد صوته ذاك . يا للشعوضة ! (ثم في تفكير) ولكن هذا غريب . لا دخان بلا نار . لقد نسب العربى أسطوره الى الشرق — كائى — وها نحن الآن نقع عليها من جديد — فى كائى أيضا . بينما قمنا بدورة حول العالم (كائى قد خجل من

نفسه أن اخذ المسألة ماخذ الجد هكنا ، يقول دون
اكتراث (على أية حال ، هذا دليل جديد على أن
كثاى قريبة (تسمع طلقة مدفع آتية من ناحية
الميناء) .

لويز : لقد ألقى الأسطول مراسيه . . وسيأتى ديجو .
إذا استطعت أن تعهد الى بهذا الهندى فسأحاول
ادخاله فى الدين المسيحى .

جوان : (نافذ الصبر) لابد أن يذهب الى السجن على ذمة
التحقيق فى هذه القضية . ولكن يمكنك أن تزوره .
هناك (مخاطبا داتو) ، مقطبا (إذا ثبت أنك شجعت
التعرد على أسبانيا ، فستشقى . أما إذا كنت متمهما
بأية تهمة أخرى فسأحاول اتقاذك (مستدعيا الجنود)
أيها الحراس (يحيون ويقسودون داتو الى الخارج من
اليسار . جوان يفرع للكان جيئة ونهابا وهو يفكر
فى جد وتجهيم) ديجو ! هل سمعت أو فيبدو يهددنى
به ؟ أية مكيدة أتى بها من أسبانيا هذه المرة يا ترى
هذا العنكبوت الملعون ؟ سيفسد تأمره كل ما قمت
به هنا (فى غضب عاجز) والمركة لا أمل فيها .
إن أسلحته همسات وأراجيف ، وحيالها يقف الرجل
الشريف أمزل من السلاح . (معبرا بقوة) أسأل
الله أن يكون هذا الأسطول قد حمل لى تفويضا ملكيا
باكتشاف بلاد جديدة . إذن لسافرت غدا الى
كثاى - أو الى القمر .

لويز : (بحزم) حارب معركتك هنا . هذه بلدك . أنت
الذى فتحتها .

چوان : كولمبس هو الذى اكتشفها . وما زلت اشعر بآثره
هنا يخلق انقاسى ، كأنه ضباب اسود ..

لويز : (ملطفا الأمر) لقد مات فاعف عنه . لقد تحمل من
المظالم ما أعجزه عن أن يكون عادلا .

چوان : كيف يمكن لكبريائى أن تعفو . لقد ظلت سنوات
أعمل فى المواقع النائية ، وعانيت من الجروح والحميات
.. من أجله حاربت الهنود ، بينما أقطع هو مبحرا
الى جنة عدن ، وكنوز سليمان ، وطويبات الانجيل .
كان يعلم أن شرفى لن يسمح لى بالتآمر ضده كما
فعل الآخرون ، ولذا فقد تجاهل خدمتى وحكم على
بمخمول الصيت فلم يرد لاسمى ذكر ، ولا مرة واحدة،
فى تقاريره الى اسبانيا . ولكن منذ سقوطه فقط...
(ثم يترك الموضوع فجأة) بل حتى هذا أيضا ان
هو الا قصة حقيقية (ثم بنفسه صبر مفاجيء) لماذا
لا أرحل أنا للبحث عن كائى ؟ لقد فشل هو فى ذلك،
ولكننى سوف أنجح . أنا لست خياليا يجرى وراء
أوهام (فى قنوط) أقول لك اننى أمقت هذا المكان،
أمقت سلطتى التافهة . رباه ! اننى لأغرق بورتوريكو
كلها من أجل نظرة واحدة الى كائى .

لويز : (مدعورا) چوان !

چوان : (بعد فترة - فى تهكم) لا تخف ، فلن أهجرجزيرتك
الغالية . ان هذا التفويض الملكى لن يأتى أبدا ...
وحتى اذا جاء فان هناك عقبة (قاتطا ، وقد بدأ
عليه التعب الشديد) لقد فات الأوان ، وكائى أبعد
من أن نبلغها ، والتعب قد نال منى أكثر مما اطيع .

ولقد طال قتالي مع توافه الأمور حتى أصبحت تافها .
صدت روعي في أغلال عشرين عاما ، فهي اليوم
تجنح الى قبول هذه الأغلال طلبا للسلام (في حين
عاطفي عميق) أه لو استطعت فقط أن أشعر بناري
القديمة ، حمية قلبي وعقلي ! لو استطعت أن أكون
مرة أخرى ذلك الرجل الذي حارب امام غرناطة !
ولكن النار تخبو ، فما تريد علي أن تدفع ارادتي لكي
أحلم بالماضي ، وما عادت بقدرة على أن تقدح شرارا
يشعلها بالأعمال . (بابتسامة رثاء حزينة) لقد بدأت
أخني ... فشلا آخر .. أنا الآن أكبر سنا من أن
أجد كائنا .

(يظهر مننيز في المؤخرة ، في الوقت المناسب لسمع
العبارة الأخيرة ، يرتدى زى الأسقف ويبسو عليه
عمره الحقيقي . ولكن ملامح التعصب المتحمس قد
استحالت الآن الى ملامح لاثقل قسوة ، ملامح مدبر
الكائد الأريب وقد جعله النجاح راضيا ، ملامح
التأمر القاهر الذي يعمل الآن في رسم سياسة
الكنيسة . يقف مترددا يجيل من شخص لآخر نظرة
تشكك وتفحص . ثم يتقدم متكلفا هيئة الجذل
والابتهاج)

مننيز : ما هذا الذي أسمعه ؟ أنت أكبر سنا . كلا كلا
يا جوان ، ما هذا الا قول باطل (يستدير الاثنان
وقد أخذتهما المفاجأة . جوان يحمق فيه في نفور .
ويتبادل مننيز مع لوز انحناءة باردة فيها طابع
التنازل ، ثم يتقدم نحو جوان باسطة ذراعيه ، وهو

يبتسم ابتسامة مذهلة) . اما لى عندك من تحية
ايها الصديق القديم ؟

جوان : (ياخذ بيديه دون تهويل . ثم يقول متهمكا) ومن
ذا الذى يتوقع ان يراك هكذا تدخل دون اعلان
بعودتك - مثل اى راهب مسترق للسمع .

مننديز : (دون ان يفسطرب لهذا) شوقى لرؤيتك . لى .
اخبار عظيمة ، وكثيرا ما تحدثت الى الملك عنك . .
وهو الآن يقدرك اعظم تقدير . وكدليل على رضاه
عنك فاننى احمل لك . . . (ثم يابتسامة خبيثة)
ولكننى اعتقد انه ينبى الا اقول اننى انا الذى يحمل
اليك ، اذ يجب ان يبقى هذا الشرف لشخص اعلى
منى قدرا .

جوان : (فى نغاد صبر) انا اكره الاسرار والافكار .

مننديز : (باستغزال) سأعطيك اشارة تفصح عن اللغز .
احتراما للشيخوخة التى كنت تبكى عليها الآن .
هيهـ نفسك لترحب بالشباب ، وبجائزة كنت
تلمسها طوال حياتك فى جزر الهند . جائزة اقرب
الى قلبك مما كانت الحمر عند لويز قبل ان يتوب .
(وبهذه الحكمة اللاذعة ، يستدير) عفوا اذ اترككم
الآن . على ان اعد العدة . . لهذه المناسبة الكبيرة .
(ينحنى وهو يسخر ، ثم ينصرف من جهة اليمين)

جوان : (غاضبا) دساس ، مدبر للمكائد ! (يفرغ المكان
جيتة ونهابا)

لويز : (بعد ان يفكر لحظة . يقول فجأة) لقد وجدت
السر . لا بد انه التفويض الملكى للقيام بالاستكشاف .

لقد حصل عليه من الملك ، لأنه يريد أن يتخلص منك هنا . أنت تقف في طريقه ، بسياستك في الايمان بالرحمة والتسامح . وهو يريد أن يكون ديكتاتورا مطلق التصرف ليلجأ الى الاستعباد والتعذيب . ولكنه يخشى أن يحاربك حربا صريحة . وهل توجد خطة ابرع من أن يبعث بك بعيدا وانت راض ، معترف بالجميل ، مرتش دون أن تدري ؟

جوان : (رافضا) اذن فساراوغ هذا التعلب . لا ارغام في مثل هذا التفويض ... (وقد اختلط عليه الامر) ولكن ذلك أعظم أمل لي يتحقق ... بعد فوات الاوان . (محاولا أن يتكلم كأنما يعبره أو يتهمك عليه) ولكن لابد لي أن أجد كائى ، هذا اذا كان بها ينبوع الشباب ذاك الذى تحدثت عنه .

لويز : اسمع ناسا قادمين . يجب أن اذهب . ان رؤيتهم لنا معا تزيدهم حقدا وضفنا (يضغط على يد جوان) كن حازما ايها الصديق القديم ، مهما يحدث (يخرج من اليسار . يرتفع همس القادمين . يتهالك جوان جالسا على المقعد القائم أمام النافورة ، غارفا في تفكير حزين ، غافلا عن ينبوع ... تظهر « بياتريز دي كوردوبا » ، ترافقها وصيفتها ، وحشد من النبلاء يرتدون ملابس فاخرة . بياتريز فتاة جميلة في الثامنة عشرة أو نحو ذلك ، وهى صورة ناطقة بالحيوية الفتية والسحر والرشاقة . تصرفهم مشيرة اليهم بالتزام الهدوء . ثم تتقدم نحو جوان ، جاعلة

النافورة فاصلا بينهما ، وهي تمسك في يدها وثيقة

مختومة . وأخيرا تناديه بصوت متلهف مرتجف (

بياتريز

: دون جوان !) يستدير جوان بسرعة على مقعده ،

ويحلق فيها خلال الينبوع ، وتبدو منه صيحة

تعجب مفاجئة ، كلما وقعت عينه على شبح ، وبأسر

جمالها عينيه فلا تتحولان عنها . وفجأة تضحك

هي ضحكة مرحة ، صافية ، لينة ، ثم تدور بسرعة

حول النافورة وتواجهه (انها انا يا دون جوان .

جوان

: (يحلق فيها وما زال مسحورا بها . ثم يتذكر

فجأة ، فينهض واقفا ، وينحنى لتحشاء كبيرة

بفروسيته الساخرة القدية) عفوا . لقد سحرني

جمالك . ظننتك روح النافورة (ثم يتزايد تهكمه)

ايها السيدة الحسناء ، انك تسبغين على شرفا

لا استحقه .

بياتريز

: (وقد آلمتها لهجته واربكتها) ألا تعرفني ؟ عجباً .

انا بياتريز (ينحنى لها من جديد دون أن يبدو عليه

أنه عرفها) ألم ينبئك الأسقف منذئذ ؟

جوان

: (في تشكك) لم ينبئني عنك ، أنت ، شيئا ، ياسيدي

الجميلة .

بياتريز

: انا بياتريز دى كوردوفا .

جوان

: (ينظر نحوها تخمنا - ثم يدهش فيحلق فيها -

فترة صمت ، ثم يبطئ) ابنة ماريا ! أنت !

بياتريز

: (تنطلق بكل ما عندها دون تحفظ) لقد ماتت منذ

عام . وانا الآن ... في رعايتك . كانت هذه

رغبتها الأخيرة . كان أبى قد مات ، وليس لى من

قريب تستطيع هي أن تثق فيه . وطلبت الى الملك أن يبعث بي اليك هنا . فطلب الى أن أنتظر حتى يعودني الاسقف اليك ، وحملني أيضا هذه الهدية لك . قال انها اعز امنيائك (تعطيه الوثيقة)

جوان : (يبسط الوثيقة - تمر فترة وهو يحملق في الوثيقة دون فهم ، ثم يقول في مرارة) التفويض . . باكتشاف كائناتى .

بياتريز : نعم . وانت تستطيع ان تنجح في العثور عليها بينما فشل الآخرون . أنا أعلم هذا . لقد كنت عند أمي المثل الأعلى للفروسية الإسبانية . فارسا حقا من فرسان الصليب . كانت هذه نبوءتها . . ستكون أول من يصل الى كائناتى .

جوان : كانت تتكلم عن الرجل الذى عرفته حينذاك (محمقا فيها مسخورا ، ثم في اهتمام وحمية) انها تبعث الى بك ، وانت الشباب . اترأها تتهمك على ؟

بياتريز : (فجأة) دون جوان : أنا أتذكر شيئا أوصتنى ألا أنساه حين القاك . لقد قالت « أعطيه العطف والحنان وفاء لدينه على اذ أنقذنى من أجلك » . وقالت ان هذه الكلمات سر لا أطلع أحدا غيرك عليه . ماذا كانت تعنى بهذا يا دون جوان ؟

جوان : (وقد تأثر تأثرا عميقا) العطف والحنان . اثنتين الى بهذا يا بياتريز ؟ (ثم كائما قد استعاد نفسه) كلا ، لا تفعلنى . هذا معناه الضعف . هاتلى الماضى ، بدلا من ذلك . ردى الى الرجل الذى عرفته أمك .

بياتريز : (وكنت تفحصه دون أن تعير كلماته اهتماما)
 أنت أكبر منا مما كنت أحلم به يا دون جوان .

جوان : (وقد جرح - بصوت عنيف أجش) ليس في قولك
 هذا عطف ولا حنان . الشيب ! انه درع من الفولاذ
 اللامع . سيف وضاء . الضحكات فوق ضجيج
 المعركة . (يرى دهشتها المرتاعة من كلماته فيتمالك
 نفسه ويضيف في مرارة حزينة) كان ذلك منذ
 وقت طويل ، يا بياتريز - تلك الليلة في غرناطة -
 انه الآن حلم باهت الذكرى . (ثم يرتد فجأة وبسرعة
 مستعيدا أسلوبه المهنّب التهكم) اغفرى لى ، لقد
 أصبحت رجلا متوحشا لا يذكر آداب السلوك .
 (ينحنى ويقبل يدها بكل ما كان له في شبابه من
 شهامة الفرسان) مرحبا بك يا عزيزتى في بورتيكو ،
 في رعايتى . (تنظر الى رأسه المنحنية ، فتحمر
 وجنتاها بالسعادة والارتباك الساذج ، بينما تنزل
 الستار) ...

المنظر الرابع

(بعد ثلاثة أشهر - في مكتب « مننديز »
الرسمي بالقصر . غرفة واسعة ، عالية السقف ،
خالية من الأثاث إلا من منضدة ثقيلة في
الوسط . ألوانها داكنة مقبضة ، تحمل الطابع
الكنسي الصارم الضيق الأفق . وفي ركن منها
منبح أمامه شموع مشتعلة ، وعلى الجدران
معلقات ثقيلة تحجب ضوء النوافذ المرتفعة
للقوس . وفي المؤخرة صليب ضخم معلق
على الحائط . تبدو الغرفة كلها صورة مكبرة
لغرفة راهب ، ولكنها تسبغ على المخيلة تأثيرا
قويا مقبضا بما فيها من طابع التركيز .
والغرفة مخمل رئيسي في المؤخرة ، في
الوسط ، وباب جانبي أصفر إلى اليسار ،
تجذبه ستائر .

الساعات الأولى من المساء . مننديز جالس
إلى المنضدة . يبدو مقبضا ، نافذ الصبر ، يتسمع
منتظرا شخصا . يسمع صوت خطوات
تقترب . يستدير مننديز في مقعده في تطلع

واهتمام. يدخل «كويسادا» تحت رق المقاتلات،
الى اليسار، وجهه متجههم يبدو عليه التصميم.
يحمل سيفًا ومسدسات فوق ثيابه التي دس
اطرافها في أحذية الركوب الطويلة ، وقد غطاه
الغبار ، وبدأ واضحا انه قام برحلة ركوب
شاقة . ينحنى لمنديز في احترام)

-
- مننديز : بدأت أظن أنك لن تحضر أبدا . (ثم في قلق) ..
ما الأخبار ؟
- كويسادا : الاجتماع منعقد . لقد تجمعوا في القلعة خارج البلدة .
- مننديز : عظيم . إذن فالأمور تسير وفق خطى .
- كويسادا : انهم جميعا متفقون على أن دون جوان يجب أن
يتنازل عن التفويض .
- مننديز : الا اذا أطلع باحنا عن كائى على الفور ؟
- كويسادا : نعم ، فهم يتحرقون جنونا الى الذهب (مستهزئا)
ذلك الذهب الذى أطلقت أنا الشائعات بوجوده
هناك حسب تعليماتك .
- مننديز : وهكذا نتخلص من دون جوان وكل العناصر
الساخطة في الجزيرة بضربة واحدة .
- كويسادا : (متحمسا) ولكنهم يطالبون ايضا بأن يحرق
الهندي « ناتو » أولا . أنهم يعتقدون انه قد سحر
الحاكم ، ويسلمون بمقابلات ناتو السرية مع دون
جوان .

- مننديز : (في غضب) من الذى اخبرهم ؟
- كويسادا : (بعد لحظة تردد - متحذرا) انا .
- مننديز : (في غضب) ايها الاحمق .
- كويسادا : (وقد أدرك الخطر - في تواضع) ولكن هذا الكلب ما يزال يرفض التعميد المسيحى .
- مننديز : (في تجهم) اهذا هو الوقت المناسب لمناقشة قضية هندی فرد ؟ ايها الأبله . انك تعلم مثلى تماما اننى اهدف الى مهاجمة دون چوان فى قضية واحدة ، قضية واحدة فقط - هى عدم ابحاره للبحث عن كائى بعد وصول التفويض الملكى .
- ما دخل اى « نانو » فى الدنيا بهذا ، سواء أعدم ام لم يعدم ؟
- كويسادا : دخل كبير يا سيدى . لو لم يكن دون چوان قد وقع فى سحر « نانو » لكان قد أبحر منذ زمن طويل .
- مننديز : و انت انبات الفوغاء بذلك ؟ فليسأحك الله ، هل كان من خطي أن تستغل أنت تعطش الفوغاء للدماء ؟ لقد كنت ادبر الامور من أجل تورة سلمية توقف چوان وتنبهه الى ضعفه وعاره فيبحر .
- لقد تجاسرت على إثارة نوع من الجنون كفيف بان يكتسح ببساطة ، كل السلطات المعترف بها .
- خبرنى بسرعة .. فى اى حال تركت الفوغاء ؟
- (كويسادا يتحاشى نظراته . فيدق مننديز على النضدة بعنف) أجبنى .
- كويسادا : (مراوغا) كانوا يشربون الخمر ...

مننديز : (في ثورة ، وقد سرت في صوته نبرة الارتياح
والاحساس بالخطر) آه !

كويسادا : (وقد انكمش الآن تماما) كانوا يصرخون داعمين الى
الزحف على القصر . وكان الدون أوفريدو يحاول
قمعهم .

مننديز : (في شراسة ولذراء مرير) أيها الأرعن اللعين .
بل أنا الأحق اذ وضعت فيك ثقتي .

كويسادا : (راعيا على ركبتيه - وقد بلغ به الجبن والانكماش
كل مبلغ) اغفر لي يا صاحب النيافة .

مننديز : عمك هذا خيانة لي . وسأعاقبك . عندما تطلع
هذه الحملة باحثة عن تلك الخرافة الذهبية ، كائى ،
فستذهب أنت معها ، وتخطيء هناك ما شاء لك
الخطا . (ينهض ويلتزم الغرفة متجها الى النافذة
في المؤخرة)

كويسادا : (في مثلة) أنا اقبل التكفير عن ذنبي ، في تواضع .

مننديز : (في مرارة) انظر الآن الى اول ثمار تجنيها من
تقواك المفرطة . (مشيرا) ان الافق الجنوبي
شعلة نار .

كويسادا : (ناهضا) لابد انهم اشعلوا النار في قرى الهنود .

مننديز : الدماء والنيران . رقصتك المرحية تبدا بداية
طيبة . (ويشد الستار فينسدل) ليس غير جوان
يستطيع أن يمكك الآن بزملمهم ، لو أنه يقدم
بالابحار فوراً . ولكن لا ، ان كبريائه أعظم من
ذلك . سيحارب التمرد المسلح الى النهاية .
وسنهوى جميعا في هذا اللمار .

كوبسادا : (باحتقار) أنه لم يعد كما كان - منذ أن سحره « نانو » .

مننديز : (في ازدراء) أيها الأحمق (ثم في اصرار) ومع ذلك فهناك حقيقة فيما تقول . لقد أصبح ضعيفا ، مذ وقع بين تأثير « لويز » وتدخل الفتاة . (ثم في اقتضاب) هيا . فهناك فرصة رغم ذلك . استدع لى دون جوان على الفور . (ويقول العبارة الأخيرة في صرخة تدل على صبر نافذ)

جوان : (من الخارج في المؤخرة ، وتهكم) لا دامى الى ان توفد لى رسولا . (يدخل . بدت عليه الشيخوخة في هذه الأشهر الثلاثة . وضع الشيب في لحيته ورأسه . ومن وراء القناع الساخر المرير في وجهه يبدو ذلك التعمير عن الصراع العميق المستتر ، بما فيه من ألم وعذاب ، كأنما يخوض معركة مع نفسه)

مننديز : (وقد أخذته المفاجأة ، واشفق مما عسى ان يكون جوان قد سمع) هل سمعت ؟

جوان : (باحتقار) ما صرخت به فقط . هل أنا راهب يتسمع على الناس من ثقب الباب ؟ (يقول هذا وهو يرشقى كوبسادا بنظرة) ولكنى أعرف دمائسك . اجتماع الضباع العاوية هذا . لقد سمعت الشائعات ، كما ترى . أنت تريدنى ان أرحل بناء على مطالبهم ، وبذا تتوافر لك الحرية لتحكم هذه الجزيرة باسم الشريعة المقدسة ؟ أليس كذلك ؟

- مننديز : (ضابطا غضبه) لقد فقدت رشيدك . أنت لا تدرك
أن الأمور قد بلغت أوج التأزم ، والحكم قد انزلق
من بين أصابعك وأنت تلهو بدور الاب الخنون .
- جوان : (وكالما لفتته العبارة الأخيرة - في وحشية) هذا
كذب .. (ثم متمالكا نفسه) أقول لك ثانية ،
يا ديجو ، سأرحل عندما أشاء أنا ، لا أنت .
- مننديز : (محاولا إقناعه) لقد ظلت تكرر هذا القول دائما ،
ومع ذلك فإن اعتزالك قد جلب علينا الدمار ،
جنودك وبحارتك يتمردون علانية ، والفوضى قد
ثاروا . (في حمية) جوان .. اترضى بأن يطيح بنا
التمرد ؟ ألم تعدهم بكائى ؟
- جوان : (في كبرياء) أنت الذى وعدتهم بها ، باسمى ،
أيها الخسيس ، لكى تضمن التخلص منى ...
- مننديز : (مستثيرا آياه ، وهو يلحظ بهارة رد الفعل عند
جوان) لقد وعدتهم بذلك لأننى ظننت أنك ما تزال
جوان بونس دى ليون . ولكنك لم تعد ذلك
الرجل - لم تعد أكثر من عبد يعمل من أجل
النزوات العاطفية لفتاة . أنت أضعف من أن تقوم
بالحكم هنا ، وأضعف من أن تنهض بمشروع كائى .
- (تمثد يد جوان نحو سيفه . مننديز يستمر فى
كلامه متجاهلا ذلك) واذن ، فمن أجل أسباتيا ،
أترك منصبك ، وتنازل عن تفويض الاكتشاف
لشخص آخر لديه الشباب ، والشجاعة على
المخاطرة .
- جوان : (وقد أهاجه القول فاستل سيفه الى منتصفه)

حذار يا ديجو . ان المسح الذي ترتديه لن يغفر
لك مثل هذه الالهات .

مننديز : (في نبوة تطف ومداهنة) اغفر لى يا جوان . انما
أهينك من أجل صالحك . فلتعض نحو اكبرانتصار
لك . لا تمكث هنا في ذهول حتى تلحقك الهزيمة
المشينة .

جوان : (وقد اهتز لقوله) سارحل . ولكن ينبغي أولا ان
اعلم - ان اعلم على وجه التحقيق ودون شك -
أين تملا . . (ثم يتوقف فجأة)

مننديز : (متسائلا) ماذا ؟

جوان : (في تشكك) لا شيء .

كويسادا : (الذى كان يصفى في اهتمام محموم - يشعر صوب
جوان في لهجة اتهام) انه يزور « ناتو » كل يوم .
أنظر الى عينيه . انه مسحور . (يفرع جوان
وكأنما يشعر بالذنب ، ولكنه يحاول تجاهله في
احتقار)

مننديز : هدوعا يا كويسادا . (ينظر الى جوان) هذه
المقابلات غامضة يا جوان .

جوان : (بسرعة - يستدير نصف دورة متجنباً عينيه -
محاولا ان يبدو غير مكترث) انا في حاجة الى
معلومات دقيقة في رحلتى لا يستطيع أحد ان
يقدمها لى غير « ناتو » . ولهذا تأخرت .

مننديز : (ناظرا اليه بحدة) هكذا ؟ لقد ظننت ان محبتك
ليانريز هى التى عاقتك ؟

جوان : (في عنف) كلا . .

مننديز : (باهتمام) ولم هذا العنف ؟ هذا امر طبيعى جدا . لقد كنت تعيش وحيدا . فاذا ما وجدت ابنة ، فى شيخوختك ..

چوان : (وقد امتنع وجهه غضبا ولما) ابنة ؟ كيف يمكنها ان تنظر الى ك ...

مننديز : (مهدئا ولكن بنبرة فيها اصرار على الاغالة) كانت تنظر اليك دائما باعتبارك بطلها . باعتبارك الامر العظيم فى حياتها . لابد انها تعجب الآن من ضعف الشيخوخة فيك .

چوان : (فى احتياج) أبحرؤ على اغاضتى باسمها ؟ سأرحل ، اقول لك سأرحل ، سأرحل فى اول يوم بعد ان اتبين ... (وقد سرح خاطره . يبدو وقد اهتز) كفى يا ديجو . سأفعل ما اريد ، وفى الوقت الذى اريد . (يندفع خارجا من المؤخرة كالما تطارده ارواح شريرة . ينظر مننديز وراء چوان بينما تظهر على وجهه ، تدريجيا ، ابتسامة تهكم ورضى ، كالما ثبت له الليل على شئ)

مننديز : (متحدثا الى نفسه والى كويسادا فى نفس الوقت) كان ينبغي ان اخمن هذا من قبل . ولكن من كان يتصور ... انه مسحور ، بالتأكيد .

كويسادا : (بحماس) نعم .

مننديز : (بجفاف) ولكنك لا تلقى اللوم على الساحر الصحيح . الساحر المسئول لا ذنب له (يفتح كويسادا عينيه حائرا فى فهم هذا اللفز . مننديز .

يفكر هنية ثم يلتفت الى كويسادا (احضر الانسة

بياتريز .

كويسادا : نعم ، يا صاحب النيافة . (ينحنى ويخرج ، من اليسار . يجلس مننديز مفكرا . ويبدو عليه انه يرسم خطة حملته . وبعد لحظة تدخل بياتريز وتنحنى امامه باحترام)

بياتريز : (في تحفظ) هل طلبت رؤيتي يا صاحب النيافة ؟
مننديز : (يوميء برأسه ويشير الى مقعد . ويتفحص وجهها لحظة في ثمن ، ثم يبدأ بلهجة ساخرة مداعبة) لم يدع الجمال شيئا قائما في مكانه في طروادة القديمة . هل انت هيلين اخرى يا بياتريز ؟
بياتريز : (مرتبكة) أنا ... لا أفهم .

مننديز : (في برود وجفوة) لا تفهمين ان الثورة تفلئ في بورثوريكو ؟ ثورة ستطيع بنا جميعا ..

بياتريز : (حائرة) ثورة ؟ (ثم في حيوية) من ذا يجروء على الثورة في وجه دون چوان ؟

مننديز : (مقللا من شأنه) چوان لم تعد له قوة . جنوده انفسهم قد ثاروا عليه . انه يواجه اللمار . هل تفهمين ؟ ليت لى كلمات من نار فادمع بها عقلك . أنا أقول لك ، وضميري شاهد على ما أقول ، وبصفتي قسيسا من قساوسة الرب ، انك انت المسئولة ...

بياتريز : (مصعوفة) أنا ؟ انت تمزح .. (ثم في استياء

مترفع) أنا أؤذى دون چوان وهو ابى الثاني ؟

مننديز : (يبدو وقد أصبح خيال غضبها اكثر برودا) وكان

لك اكبر الانر في تحويله الى الطراوة والتحلل من الصرامة .

بياتريز : (ساخطة) تعنى لآتنى كنت أشفق على الهنود من العذاب ؟

مننديز : (فى جفاف) فلنحكم على شفقتنا بنتائجها . هؤلاء الوثنيون لم يعودوا يعرفون الخوف . انهم يتحدون عقيدتنا المقدسة ، وبهزاون بالتعميد المسيحى . هؤلاء الهنود يهجرون العمل . واذ يقضى دون جوان وقته مملء ، فانه لم ينس واجباته فى الحكم فحسب ، بل نسي ايضا قسمه بأن يبحث عن كائى . لقد طال انتظار الجنود والبحارة دون عمل . فهم الآن لا يوقرونه كقائد شجاع سيقودهم الى المجد ، بل يحتقرونه ، ويعتبرونه ملعبا وممطلا ، لانه فقد الشجاعة على الحرب والعمل - وهكذا دبروا مؤامرتهم . هذه هى الحقائق . فهل تنكرين ان تأثيرك كان قويا عميقا عمق الجذور ؟

(بياتريز وقد اخذتها قسوة هجومه فلم تعد تعرف كيف تجيب ، فيتحسين هو ذلك ليغضى) وهل تستطيعين ان تنكرى ان تفيرا كبيرا طرا على دون جوان منذ وصولك ؟ لا يمكن طبعا ان تغفل عن ملاحظة هذا ...

بياتريز : انه يبدو فى بعض الاحيان كما لو اصبح خائرا المزيمه .

مننديز : (فى عنف) خائرا ، مشلولا . تشرذ افكاره كأنه رجل هرم . اعتقد ان قواه العقلية فى اضمحلال .

بياتريز : (فرقة) كلا ... كلا ...

مننديز : لابد ان تواجهي الحق . (في عنف) عندما ينتزع الطموح من رجل مثل دون جوان ، فان مثل هذا الرجل يذوى وينتهى . لقد جعلته ينسى كائنا . لماذا ؟ لماذا لم تحثيه على الذهاب ، لصالحه هو ؟ عندما جلبت له التفويض الملكي كنت تحلمين به كما يحلم هو بنفسه ... فاتحا وبطلا ...

بياتريز : (في تردد) قال لى الاب لويز اننا يجب ان نبقينه هنا، والا راحت كل اعماله الطيبة هباء ...

مننديز : ان هذه النورة ستطرح باعماله الطيبة في ساعة واحدة. (ثم ملاطفا) الاب لويز رجل طيب .. ولكنه اعمى. وانت فتاة ، ولا تجربة لك . تعالى (يترث وهو يرقبها بتمعن، ثم يأخذ بيدها ويسير بها الى النافذة، ويزيح الستار) انظري ..

بياتريز : (صرخة فزع) آه ...

مننديز : هل صدقت الآن ان الثورة قائمة ... وانها خطر على جوان ؟

بياتريز : (مرتاعة) النار ...

مننديز : والقتل ... في القرى الهندية . انظري الآن ماذا فعلت شفتك عليهم . ولن يقف الامر عند هذا . ان هذه الا اول شرارة للثورة . سيزحفون علينا بعد ذلك ... (بلهجة مؤثرة) بياتريز ، انت تستطيعين انقاذ دون جوان . انه يحبك .. كابنته ... ادفعيه الى الرحيل فورا .. ايقظي البطل في اعماقه . ردى اليه العقل والرشاد . انه صديقي القديم ، وأنا اضرع اليك من اجله يا بياتريز .

- بياتريز : (مبهلة الخطر) نعم .. نعم .. ولكن اعطنى مهلة
لا فكر .. لاصلى طالبة الهداية (وترجع امام المنبح)
- مننديز : (فى نفاد صبر) لم يعد هناك وقت ... (تسمع
ضجة اقدام مسرعة ، ويدخل أوفبيدو منتعلا حذاء
الركوب ، ويغطيه القبار ، ويشى وجهه بلامع القلق
والاحساس بالخطر)
- أوفبيدو : (دون ان يتوقف ليرى من هناك - ينفجر) ديجو،
لقد حاولت ان اكبح جماحهم ، ولكنهم جنوا . انهم
يزحفون على البلدة .. چوان سيضيع ...
- مننديز : (مخاطبا بياتريز التى استدارت فى فزع) اتسمعين؟
- أوفبيدو : لقد جاء الوقت للتخلى عن هذا الاحمق المريض ...
ينبغى ان نقود هذه الثورة صراحة .
- بياتريز : (تنهض واقفة وتواجهه - وعيناها تومضان)
جبان ! (تراجع ويده على السيف ، وهو حلق فيها)
- مننديز : (فى اهتمام) اذهبى يا بياتريز .. (يقر بأوفبيدو
وهى ترشقه بنظرة ساحقة ، وتخرج ، من المؤخرة .
يلتفت مننديز الى أوفبيدو بابتسامة تهكم ، ولكن
فيها قلق أيضا) لو انها تتحدث الى چوان كما
تحدثت اليك ، لانتصرنا بالرغم من كل شيء
يا صديقى .

سنتار

المنظر الخامس

(زنزاة « ناو » - وهى كهف دائرى
الشكل جوفته الطبيعة فى الصخور ، وشقته
يد الانسان فى موقعه تحت مبنى الحكومة .
والمكان ضيق ، ولكنه مرتفع ذو شكل
استوائى . بضع درجات منحوتة تؤدى من
الأرض فى المؤخرة الى باب فى أعلى . الرطوبة
تبلل الجدار للارتفاع . الى اليمين اريكة صغيرة .
مصباح على احدى الدرجات السفلى . وفى
الوسط يقف جندى متين البنيان ، بady
الشراسة ، قد شمر اكمام قميصه عن عضلات
ذراعيه ، ينفخ بمنفاخ على فحم فى موقد وقد
تاجج احمرارا وبدت فيه عدة قضبان من
حديد . وعلى الحائط فى المؤخرة يرى ناو
معلقا ، وذراعه فوق رأسه ، وقد قيد من
رسميه بسلاسل مثبتة فى الصخر ، ولا تكاد
قدماه تسان الأرض . رأسه الآن متعلية على
أحد جانيه كانه فى نصف وعيه ، وجسمه
نحيل ضامر .

الباب مفتوح ينفذ منه بصيص دائري من
الضوء الباهت على الدرج . ويحتجب هذا
الضوء اذ يهبط شخص داخلا من الباب هو
دون جوان .

يفلق الباب خلفه ويهبط، ثم يتوقف عندما
يصبح في مواجهة رأس نالو ، وينحنى عليه
مخدقا في وجه الهندي . فيفتح هذا عينيه
وتتصلب رأسه في كبرياء فوق كتفه . يحدث
كل منهما في عيني الآخر . ويرخي جوان
عينيه شاعرا بالذنب ، ويتعبد عنه ويهبط
الى الأرض حيث يقف الجندي في هيئة
(« الانتباه »)

-
- جوان : (بصوت أجش) هل تكلم ؟
الجندي : ولا كلمة واحدة يا سيدى .
جوان : اذن فانت لم تطع ...
الجندي : (مشيرا الى قضبان الحديد في السار) حاولت
معه كل الوسائل التى اعرفها .. ولكنه مصنوع من
فولاذ ..
جوان : (ينظر الى « نالو » بكراهية عميقة) ايها الكلب ..
(ثم يستدير الى الجندي) اذهب وتول الحراسة
فوق ..
الجندي : نعم يا سيدى (ينحنى ليلتقط الوقود)

جوان : (بصوت أجش) كلا .

الجندي : (يرمقه بنظرة وقد فهم مرماه) كمتشاء ياسيدى .

(يصعد الدرج ويفتح الباب ، ثم يختفى تاركا الباب ينطلق وراءه . يتهالك جوان على الأريكة الحجرية في اليمين ، ثم يحلق الى أعلى صوب ناتو الذى يرد نظرتة بنظرة تحد لا يلين . فترة صمت)

جوان : (وعيناه الآن تنظران الى الأرض في بلدة - خاطبا نفسه بصوت نصف مرتفع) ديجو لم يكنب ، فالعاصفة تتجمع (فياس مرير) ماذا يهم ؟ أستطيع أن ابتهل الى الله أن يحدث طوفان يفنى الجنس البشرى . . لولا بياتريز . (يزجر ثم يرفع عينيه من جديد صوب « ناتو ») لماذا تنظر الى ؟ لا أستطيع ابدا أن أقرأ ما في عينيك ، انهما تريان عالما آخر . . ماذا تكون أنت ؟ أنت لحم ودم ، ولكن ليس مثل لحمنا ودمنا . ام أنت من طين ؟ أنا أجيء بعد ذلك - او قبله - ولكننى ضائع ، أعمى ، في عالم تزوغ فيه عيناى على الأمور السطحية دون أن تنفذ الى الأعماق .

أى قيم تمنحك قوة الحياة ؟ أجب ؟ لابد أن أعرف الإلفاظ التى أستطيع أن أتوسل بها (الهندى صامت لا يتحرك . فترة صمت . وفجأة كالما تذكر ، يقفز ناهضا في حمى من نفاذ الصبر) اجبنى ايها الكلب . لابد أن أجد العزيمة على العمل ، والا فالعار فى انتظارى ...

ناتو : (فى وقار - بصوت ضعيف) ان الالهة غضبى .

- جوان : (بفرح عامر) تتكلم أخيرا .. ناتو ، لماذا بقيت صامتا وأنا أتوسل اليك .
- ناتو : لقد أصمت الآلهة أذنك .
- جوان : (ماضيا في حديثه وقد تملكته أفكاره ، دون اعتبار لشيء) جوان پونس دى ليون يعذب أسيرا لا حول له ... لماذا دفعت بى الى مثل هذا العار ؟ لماذا لم تجب على سؤالى ؟
- ناتو : (باحتقار) لقد تعب لسانى . لقد ظلت شهرا بأكمله أجيب على أسئلة كل يوم .
- جوان : (فى غنف) ولكنك كذبت . قل لى الصديق الآن . أين النبوع ؟
- ناتو : (دون اكتراف ، مغمضا عينيه) الآلهة وحدها تعلم .
- جوان : نفس الأكذوبة ! لقد أنبأنى أولا ان رجال قبيلتك السابقة كانوا يعلمون . لابد أنك تعلم . هذا هو انتقامك ... لموت زوجاتك وأطفالك . أينبغى ان أقسم لك ثانية انهم قتلوا رغم أوامرى الصارمة ؟
- جوان : (يظل ناتو صامتا . يطلق جوان صرخة هاتجة ثم يندفع الى الموقد ويأخذ قطعة فحم متاججة باللقط ويمسك بها أمام عيني الهندي) أيها الكلب ، ساحرق هذا الأزدراء من عينيك ... (يحمق الهندي فى الفحم المحمى دون تأثر . جوان يتركها تسقط على الأرض وهو يئن بزعجرة يؤس يائسة)

غفرانك . المغفرة بحق المسيح .. انه انت الذى
تعدبنى . ناتو ، انا احترق كائننى فى الجحيم . انا
احب ... (ثم يتوقف فجأة ، وقد جمد ياسا بما
فى ملامح الهندى من عدم اكتراث عنيد لا يتزعزع ،
ويلقى بنفسه على الأريكة فى جمود من فقد الشعور ،
وفى النهاية يستل سيفه ببطء ويتحدث كأنه ميت)
اما ان تتكلم ، واما ان تموت . اقسم على ذلك .

ناتو : (فى ترفع واحتقار) ما هو الموت ؟
جوان : (فى بلادة) انا ايضا ساموت . لعل فى القبر سلاما
وسلوى (بعد فترة صمت) انت احمق يا « ناتو » .
لو قبلت مساعدتى لجعلتك مرشدا للأسطول
تقودنا الى بلادنا ، فاذا عثرنا على الينبوع أصبحت
حرا ، ولن يصيب قومك اذى . اما تشعر بالخنين
ابدا الى موطنك ؟

ناتو : (الذى كان يسمع وقد أثر اهتمامه) الوطن ؟ ارض
الأزهار ؟ وطنى ، بلد المحاربين العديدين (بعد صمت)
ستدعنى أرشد القوارب الطويلة المجنحة ... الى
وطنى ؟

جوان : (فى اهتمام) نعم (فى ترقب شديد) انساعدنى ؟
فل لى (وقد قفز الآن واقفا على قدميه)

ناتو : الآلهة وحدها ... (يمنع نفسه فجأة فى اقتضاب)
جوان : (فى سورة غضب) آه ! (ويرفع سيفه كأنه سيفه
فى صدر الهندى)

ناتو : (ناظرا فى عيني جوان دون أن يلحظ التهديد)

ان السنة الشياطين البيض زائفة . كيف لي ان أثق
بكلمتك ؟

جوان : أقسم لك عينا مقدسة (يرفع يده)
ناتو : الهكم اله أكاذيب .

جوان : (في وحشية) أقسم باللهك اذن .. ما دام الهى قد
تخلى عنى .

ناتو : (يرفع رأسه ، ويفهم بعض الأهمية كأنما يطلب
مفكرة - ثم ينظر الى جوان بانتصار وحشى)
سأرشدكم .. ولكن تذكر ان الطريق طويل .

جوان : (في انتصار) اخيرا . ماذا يهم طول الطريق أو مشقتها .
(رافعا ذراعيه) آه ، قسا بدم المسيح ، اننى لاشعر
بالفعل ، بحياة جديدة ، ارادة الحياة . أستطيع الآن
أن افزو . (دقة بمقبض سيف على الباب ثم ينفرج
مفتوحا)

الجندي : عفوك يا صاحب الفخامة .
بياتريز : (تنادى عليه من فوق) دون جوان . دون جوان .
جوان : (منتشيا فرحا) صوتها . هذا فال حسن (يهرول
صاعدا الدرج)

ناتو : (رافعا عينيه ثانية نحو السماء - في حمية دينية)
أيها الروح الأكبر . اغفر لي كذبتى . سيكفر دمه
من ذلك .

مستلار

المنظر السادس

(نفس المنظر الثالث - فناء قصر الحاكم -
غسق خاتق ، الساء ملبدة بالسحب ، صوت
بياتريز - من اليسار - ينادى من أعلى كما
حدث في نهاية المنظر السابق)

بياتريز : دون جوان . دون جوان . (يسمع صوته يقول
« بياتريز ») تدخل ممتعة مضطربة وتجري الى
المؤخرة تبحث عن آثار التمرد والثورة - ثم تسرع
عائدة في الوقت المناسب لتلتقي بجوان ، الذي يدخل
من اليسار . هو في حالة حماس وتوتر . وجهه
بالغ الامتقاع ، وعيناه تومضان وميضاً عنيفاً . وما
يزال سيفه السلول في يده . تتراجع هي الى الخلف
وقد راعتها هيئته)

جوان : (في نبرة متوترة مرتفعة) اهو الينبوع الذي كان
يناديني ، أم أنت يا بياتريز ؟ بل أنت ، لأنك أنت
الينبوع . (يأخذ بيدها في اندفاع ويقبلها)

بياتريز : (في تعجل) جئت احذرك .
جوان : (بنظرة حادة) نحذرinni ؟ اذن فقد قابلت ديجو؟
آه ..

- (يشي بسيفه إشارة احتقار ، كأنها يطرح ثورات
العنفا كلها جليا) عندما تأتي الساعة فساكون رجلا
قويا . ان العزبة تتنفس في جوانحي من جديد . انسى
كل شيء آخر يا بياتريز . اخبريني بما يحصل في
خاطرك . هل كنت سعيدة هنا معي ؟
- بياتريز : (لا تترى لماذا تقول او تفعل) نعم . نعم . (محاولة
العودة الى مهمتها) ولكن ...
- جوان : لقد جئت الى نعمة .. نعمة كانت تقمة على .
(باقتضاب) اما لاحظت كم كبرت في السن ؟
- بياتريز : (مقتنعة انه فقد رشده - مصرة على أن ترده اليه
- خائفة ، ولكن مشفقة) تستطيع ان تعود شابا من
جديد .
- جوان : (منتشيا) سافعل (ثم في غموض) هذا عالم غريب ،
ما تزال به اعاجيب كثيرة لم تكتشف بعد .
- بياتريز : (ترى الفرصة سانحة لتتلى بما عندها - بسرعة)
اذن فاكتشفها . سيجعلك البحث شابا .
- جوان : (بعمق وقد أثر تفاؤله) من شغتيك انت ! هذا فال
طيب آخر (بلهفة) فلنفرض اننى شاب .. فماذا
بعدئذ ؟
- بياتريز : عجبا ، بعد ذلك تصبح سعيدا .
- جوان : (بقوة) هل تعديننى ؟ اما احببت ابدا ؟
- بياتريز : (حائرة) احببت ؟
- جوان : ما دمت تتحدثين عن السعادة .
- بياتريز : احببت امي .. وابي .. واحبك انت يا دون جوان .

چوان : (فى نهيم) آه ، قولى هذا تانية . هذه الكلمات دماء لقلبى .

بياتريز : (فى جد واهتمام) احبك كما كنت احب ابى .

چوان : (فجأة ، وقد جرحه ذلك على الفور) ألم يتسلل الحب الى احلامك قط ؟ لست راهبة . هيا ، حذنينى عن صورة الرجل الذى تحلمين به حبيبا لك .

بياتريز : (وقد قررت أن تتخلص من هذا الموقف بلذاعة) هذا سر خطير . . هل انت مصمم لا حسن ، اذن فهو شببيك (يطلق چوان صرخة سعادة ويميل نحوها . وتضيف هى بسرعة) انت كما وصفتك امى فى الحرب امام غرناطة .

چوان : (بمرارة) عندما كان لى الشيب . ولكننى كنت احب المجد وحده حينذاك . ألم تنبئك هى بذلك ؟

بياتريز : بالطبع ، ولهذا قالت لى امنحيه الحنان والرحمة .

چوان : (فى حزن) لقد حققت رغبتها . . ام تراه كان انتقامها؟ (ثم فى اقتضاب) وماذا اذا اصبحت انا نفسى ذلك الشبيه ؟ فارس غرناطة ومعه منحتك من الحنان والرحمة ؟ ماذا اذن ؟

بياتريز : (وقد أخافتها غرابته) آه ، انت الآن تمزح يا دون چوان (تقتصب ضحكة)

چوان : (بالفعل) كلا يا بياتريز (تبتعد عنه مدفوعة بعامل غريزى . يهدىء هو نفسه) كفى هذا الآن . انى أخاف ضحكك . فلنبدا من النهاية اولا ، وعندئذ لن نضحكى . انت . . . (يحاول أن يقرأ ما يجول فى

عينها اللتين اكتسبتا غموضا - يعنقه الشك)

ماذا ستفعلن ؟

بياتريز : (متغلبة على تهيبها - بنبرة اقناع رقيقة) انت مريض يا دون جوان . هل لك ان تصفى الى العلاج الذى أقدمه لك ؟

جوان : نعم .

بياتريز : (بحمية) ابجر واكشف كائى .

جوان : (مأخوذا ، معذبا) انت ايضا تحكمين على ، ولكنى اقسم لك اننى طالما تمنيت أن ابجر . لقد كرهت جبنى . لقد قمت بدور الخائن لكل حلم وكل أمل عظيم . ولكننى يا بياتريز عندما أرحل سأترك حياتى ورائى معك . ولذلك كنت - الى أن علمت - أخشى ان افقد ما لدى (ثم يتغير بسرعة الى شيء يشبه قرارا منتصرا) ولكن هذا قد مضى . وعزيمتى قد بعثت الى من الموت . بعثتها شفتاك . سأرحل على الفور .

بياتريز : اوه ، أنا سعيدة .

جوان : (فى حزن) سعيدة اذ أتركك ؟

بياتريز : بل سأكون حزينة ومشاعر بالوحدة . ولكن لصالحك انت ...

جوان : عدينى بمنحة واحدة .

بياتريز : (فى اهتمام) أى شيء ؟

جوان : عدينى ألا تتزوجى حتى اعود .. أو تسمعى اننى مت .

بياتريز : (مرتبكة) لم أفكر فى الزواج إطلاقا .

- جوان : (في جد شديد رغم الجهود البائس الذي يبذله
ليسيغ على صوته رنة المزاح) الى ان اقدم اليك
شبهى ؟
- بياتريز : (وقد ارتاح بالها فتضحك في سهولة) قد اغير
راي عندئذ يا دون جوان .
- جوان : هل لك ان تختفى هذا الميثاق بقبلة ؟ (يفتصب
ابتسامة ليخفي تحرقه)
- بياتريز : (دون ترحيب - تفتصب ضحكة) نعم يا دون
جوان (ترفع وجهها نحوه ويهم بتقبيلها على
شفتيها ، ولكن شيئا في وجهها يوقفه ، فيقبلها في
وقار على جبهتها - يحمل نفسه على الابتسام)
- جوان : هكذا على جبهتك ، للذكرى . اما الاخرى - قبلة
الحنان - فما تزال وعدا لاحلامي (تسمع ضجة
اقدام متعجلة ، ويتعد جوان عن بياتريز في
شعور بالاثم . يدخل لويز في المؤخرة . وجهه
مضطرب مليء بالقلق والشعور بالخطر)
- بياتريز : (تحييه باهتمام ، وهي سعيدة بدخوله الآن)
الاب لويز .
- لويز : جوان . انا احمل اليك انباء فظيعة (يرى سيف
جوان مسلولاً) آه انت تعلم اذن . لقد حان الوقت
لكي تشرع سيفك .
- جوان : (في ازدياء) اتعنى فتنة الرعاع ؟ عندما اقول لهم
ان الاسطول سيبحر غدا . .
- لويز : اعطيهم « نانو » ليحرقوه ؟ هذا مطلبهم الاول .
(تطلق بياتريز صرخة ارتياح)

- چوان : (ماخوذاً - غير مصدق) أسلم « نانو » ؟ لا .
هنا مستحيل . أنت سمعت اشاعات ...
- لويز : لقد ألهب « كويسادا » قسوتهم الى حد الجنون .
(يشير الى حيث يرى وهيچ احمر يصعد الى
السمااء) أنظر . انهم يحرقون الحى الهندى .
رحمتك يا رب .
- چوان : (فى ثورة غضب) يقتلون نانو ؟ الكلاب . سامر
فصيلة من حرسى ..
- لويز : (ينظر اليه فى رثاء) ان حرسك على رأس الفوغاء .
(مؤنبا) چوان . چوان . لماذا تعيش فى حلم ؟
لقد حنرتك مرة بعد مرة . لو لم يكن لك من
الحاكم الا اسمه ، فان ...
- چوان : (متهاويا على الأريكة - فى غباء) استدع الحرس .
لا بد ان آمرهم بالتفرق .
- بياتريز : (فى رثاء) ان عقله مريض ..
- لويز : (فى شيء من الحزم) هل لك ان تركينا يا بياتريز ؟
- بياتريز : (مظيعة) نعم يا ابتاه . (ثم فى حماس) لا بد ان
اقابل الاسقف مننديز . (وتسرع بالخروج الى
اليمين)
- لويز : (يتقدم ويريه على ظهر چوان - فى تجهم) چوان ،
استيقظ . استحلفك بالله .
- چوان : (يقفز واقفا متهيئا للقتال) ساحمى حياته بحياتى .
- لويز : لكى تعذبه انت بنفسك ؟
- چوان : (بعنف يخالطه شعور بالغبث) كلب . (متشككا
- باستياء) هل قابلته ؟ لقد أصدرت أوامر ..

- لويز : لقد مضت عدة اسابيع منذ صدر لي الاذن برؤيته .
وكننت أنت تتحاشى مقابلتى ... فلماذا ؟
- چوان : (بصوت أجش) لأننى لا أطيق محاولتك ادخاله في
المسيحية . اريد ناتو كما هو .
- لويز : لأنك تفضل اساطيره الوثنية .
- چوان : (مانعا نفسه من الانفجار غضبا) اساطير ؟ فيم
الاساطير ؟ ان كئائى موجودة هناك (ويشير)
- لويز : لم اكن اتكلم عن كئائى . انت ستبحر غدا . هل
معنى هذا أنك استطعت أخيرا ان تنتزع من عذاب
هذا الهندي البائس ايمانا بالينابيع السحرية ؟
- چوان : (فاقدا سيطرته على نفسه - هاتجا) ايها الاحمق .
انت مثل هؤلاء الاغبياء الذين هبوا في وجه
كولبس واتهموه بالكفر عندما قال لهم ان الأرض
كروية . اصغ الى . انا لا اصدق « ناتو » .
ولكنى اؤمن بالطبيعة . ان الطبيعة جزء من الله .
انها قادرة على الاتيان بالمعجزات . ونحن ، منذ
اكتشفنا هذه الأرض ، اما وجدنا عجائب لم تكن
نحلم بها من قبل ؟ ان ما جاء في قصة « ناتو »
صادق بالنسبة للحقائق التى نعرفها . ان وطنه
قارة جميلة . ارض ازهار على حد تعبيره . الا
تعرف كئائى هى ايضا باسم (الأرض المزهرة) ؟
وهناك مدن عظيمة مسورة ، سقوفها من الذهب ،
تقع في الداخل غربا . ليست هذه ، دون أدنى
شك ، ارض ماركوبولو ؟ والينبوع موجود في
كئائى . كل الادلة من كل ناحية في العالم تثبت
ذلك . وسأجد الينبوع .

لويز : (في رثاء) ولكن هذا الدليل مجرد خرافة ،
اسطورة ، او احلام شعراء .

چوان : (في هياج) هل جعل منك الصوم والصلاة احمق
غيبا ؟ ماذا كان لدى كولبس من ادلة ؟ وانت ..
انت تؤمن بان المسيح عاش ومات . هل تحدثت
الى اناس راوا المسيح في الاصطبل او على الصليب ؟

لويز : چوان ... هذا كفر !

چوان : (في يأس مرير) اذن فليكن ذلك . لقد صليت
لله عبثا .

لويز : چوان !

چوان : (واضعا كل قوة ارادته في الكلمات) الا فلاكن ملعونا
الى الابد ، على ان تمنحني الطبيعة الشباب في هذه
الحياة الدنيا مرة ثانية .

لويز : (مرتاعا) چوان ، انت تتحدى ربك .

چوان : لا اله الا الحب - ولاجنة الا الشباب .

لويز : (ينظر بامعان الى وجهه المصذب فيتين الحقيقة
فجأة ، ويقول في نبرة رثاء عظيم) اذن فهذا هو
الامر .. لقد كنت اعمى . كنت اظن ان حبك قد
راى فيها .. طفلة .. ابنة .

چوان : (بقوة) طفلة .. اجل ، ولكن لفترة .. الى ان
كان ذات صباح حين كانت واقفة الى جوار
الينبوع ، فوجدت فيها امرأة ، بل اكثر من امرأة .
كانت روح الشباب ، والامل ، والطموح ، والقوة
على الحلم ، والجرأة . كانت كل ذلك الذي فقدته
انا . كانت الحب ، وجمال الحب . فاحببتها .

أحببتها بكل ما في حب الشباب الأول من عنف ..
وكان الشباب قد مات . أواه ... اعترف انها
كانت حماقة فظيعة . قلت لنفسى اننى عجوز
احمق . وتعذبت مع الملعونين فى الأرض . عشت
فى الجحيم محروما من نعمة الموت . وأحببتها
اكثر .. وأكثر (تهوى رأسه فى يديه ، ويهتز بدنه
كله فى آهين عميق)

لويز : (وقد غلبته الرحمة فيقول بصوت مرتعد) ايها
الصديق القديم ، فليشمك الله برحمته . (وتقطع
عليه الحديث بياتريز داخلة مسرعة من اليمين)

بياتريز : (فى غضب) الأسقف مننديز يقول انه لا يستطيع
ان يفعل شيئا ، وانه يجب عليك ان تسلم «نانو» .
(وتسمع من بعيد ضوضاء جمهرة من الرعاع
تتقدم . بياتريز فزعنة) هل تسمع ؟ دون چوان ..
ستنقله أليس كذلك ؟

چوان : (يرفع بصره محملا ، ويقول فى صوت يختلط فيه
الغضب بتوقع الخطر) لابد ان أنقذه . (يصغى
الى الضوضاء المتزايدة . وعند ذلك يتصلب بدنه
كه فى أضرار وتعبد . ويرتد فى لحظة واحدة قائدا
من جديد) أيتها الطفمة من الجبناء ! (يقفز الى
الدخل فى اليسار ، ويصرخ فى جندى الحراسة)
أحضر نانو . (يعود الى حيث وقف لويز وبياتريز ،
ويدير بصره فى الغناء كأنما يحدد موقعه) سأواجههم
هنا . اذهب بعيدا ببياتريز يا لويز .

بياتريز : أود البقاء معك .

منتدیز : (يدخل من اليمين) چوان . (يرى سيفه مسلولا
— متوقعا الخطر) ماذا ؟ هل تتحداهم ؟ اذن فانت
هالك لا محالة . انصحك أن ترضخ لهم . سلم
« نانو » للعذالة .

(في أثناء كلامه يدخل الجنود حاملين « نانو » .
وهو الآن أعرج متعب)

چوان : (في احتقار هائج) مرحى ايها الأسقف الاعظم ؟
اسلمه .. هه ؟

منتدیز : چوان .. أنت مجرد من التقوى (في غضب) هذا
كفر .. ان تقرن هذا الكلب الهندي .. أنت تهزأ
بمخلصنا المقدس . ملعون أنت . وأنا انفض يدي
منك .. وسينفذ قضاء الرب . (يستدير ويعود
راجعا الى الدار من الخلف)

لويز : (عندما ترتفع صيحة من الجماهرة) چوان .
اهرب . ما يزال هناك وقت .

چوان : اهرب من ابناء آوى . هل مات احساسى بالشرف ؟

لويز : (اذ يسمع من الخارج صيحة عنيفة) هم الآن
على الأبواب الخارجية . تعالى يا بياتريز .. استحلفك
بالله . (تناضل . ولكنه يفلح في الابتعاد بها حتى
الدخل في اليمين . وتسمع آخر صيحة تحطيم عندما
تنهار البوابة الخارجية . وبعد لحظة تندفق طليعة
الفوجاء — وكلهم من الرعاع . بعضهم يلوح فوق
الرعوس بمشاعل . وجميعهم مسلحون بالفتوس
واللدى ويختلف ألوان الأسلحة الفليضة التي التقطوها
أو سرقوها)

جوان : (يزار أمرا) الى الوراء . (يترددون لحظة . ثم يرون « نغو » فيندفعون اليه في صرخات مجنونة دائرين حول النافورة . يقفز جوان للاقاتهم ، ويضرب ، ويطيح بسيفه ، فيقتل أو يجرح أربعة من المتقدمين يسقطون على الأرض . يتراجع الباقون خائفين مرتعنين . في هذه اللحظة تتدفق بقية الفوجاء من المؤخرة ، متزاحمين متدافعين ، وهم يمثلون جمهرة متباينة تضم نبلاء في ملابس فاخرة ، وجنودا وبحارة ورعاا من الأشقياء المجرمين في اسمال زاهية الألوان . وبينهم عدد من الرهبان الفرنسيسكان يحشونهم على التقدم ، وقلة من الدومينيكيين يناشدونهم ضبط النفس)

الجمهرة : هذا دون جوان . الحاكم . الى الوراء . الى النار بالكلب الهندي . امسكوه . تنح جانبا يادون جوان . ايها الهرطيق . انه مسحور . لقد رفض هذا الكلب التعميد المسيحي . الى التعذيب .

جوان : (في حزم) سأقتل الرجل الذي يمس هذا الهندي . (يسير امامهم جيئة وذهابا وهو على استعداد للظعن بسيفه ناظرا من عين الى عين . متفحصا) ايها الأوغاد . أين شجاعتكم الآن ؟ اظهروا شجاعتكم اذن . (ساخرا) هيا . . من ذا يريد أن يموت ؟

احد النبلاء : نحن نطالب بالعدالة (صرخات تأييد من الجمهرة . ويتدافعون مقترين . جوان يرفع سيفه الى مستوى صدر اقربهم اليه ، فيقفز هذا الى الوراء وهو يطلق

صرخة رعب، موج الغوغاء، ويزداد قلقهم وازدحامهم.
مترددين ترعيبهم عينا جوان)

كويسادا : (يشق طريقه فجأة الى مقدمة الحجرة . مشى الى
ناتو في عنف) سلمه . أنت مسحور . (الغوغاء
وقد أثرت من جديد . تسمع هتافات « الى
الحريق . التعذيب . الخ ») .

جوان : كلا . (صرخات هياج . وتموج الغوغاء متقدمة .
يرفع جوان سيفه) سأقتل أول من (يرتدون
ثانية ، سوى كويسادا . يزيحه جوان بيده جانباً
في ازدراء - ثم مهلدا الآخرين في عنف) انثرون.
على حاكمكم المدني ؟ اذن فأنتم خونة لأسبانيا .
واقسم بدم المسيح لأشنقن واحداً على كل
شجرة . (يتراجعون اشباراً في تلصص وقد
انخفضت صرخاتهم لحظة الى مستوى الغفمة
الساخطة « الملك سيعزلك . اشنقوا الهنود .
اشنقوهم . اشنقوا ناتو » : الخ . . .)

جندي : نحن لانقصد بك شراً يادون جوان . نفذ وعدك لنا .
أمر الأسطول بالإبحار (صرخة تأييد من الجنود .
والبحارة)

كويسادا : وسلم هذا الكلب . ستعرف بحكمة التفيتش انك
تحمل الكفار .

جوان : أنا من جنود أسبانيا ، ولست من جنود محكمة
التفتيش . أيها الجنود والبحارة . ان الابقاء على حياة
هذا الهندي في صالح أسبانيا . سيبحر الأسطول .
غدا ، ونحن في حاجة الى ناتو ليرشدنا في رحلتنا .

(يرتفع ضجيج الجماهرة الحائرة في هتافات مختلفة .
« الأسطول سيبحر غدا . مرحى ومرحى . أنه يهزأ
بنا للإبقاء على حياته . ان وثئيا على السفينة لن
يجلب إلا الشؤم . ماذا يعنى بذلك ؟ أن يرشدنا ؟
كلا ، لعنة الكنيسة » ولكن الفوجاء وقد تحيروا أخذوا
يتخبطون ، وجوان يواصل كلامه في نوع من التنازل
كأنه يخاطب أطفالا)

جوان : سكوتا . بما أنكم أغبياء الى هذا الحد فلا بد أن أشرح لكم
الأمر . ان « ناتو » هذا قد ولد في تلك البلاد . .
كاناى . . هدفنا . . هل تفهمون ؟ ولقد أجلت موعد
الابحار ريثما أقوم باستجوابه . نحن في حاجة الى
معلوماته . لابد أن يكون هو مرشدنا . (وينظره
قاسية صوب ناتو كأنما ليبلغ تهديده موضعه)
واذا لم يف بوعده لى ، أسلمته لكم ، عن
طيب خاطر ، لمعاقبته .

كويسادا : (في عنف) أنت تقول هذا لتنقله .

جوان : أيها الجنود والبحارة . اننى أهيب بكم ان تدبروا
الأمر . هل يستطيع هذا الراهب المجنون أن يقودكم
الى الفوز والفتح ؟ عليكم أن تختاروا بينى وبينه .
(الجماهرة كلها تنجيه نحوه ، وقد أخذها الحماس
والنهم . ويدرك جوان هذه اللحظة النفسية فيلقى
بالورقة الرابعة) ولكن لى أقنعكم أخيرا . . استمعوا
الى ناتو . تكلم يا ناتو . أخبرهم بما أخبرتنى به . .
عن المدن الذهبية . تكلم . (واذا تصلو صيحات
التحجيمين « فليسقط الكلب . التعذيب . اسمعوا .

اسمعوا . دعوه يتكلم . دون جوان يقول دعوه
يتكلم . « الخ ... يفسيف هو قاتلا للهندي في
همس خفيف) اذا كنت تريد ان ترى وطنك ثانية ..
(على نحو آلى ، في صوت رتيب واضح ، ويوجه
خلال من التعبير) ارض كبيرة . مدن عظيمة ...
جبارة ... ذهب ...

ناتو

: هل تسمعون ؟ مدن الذهب (يغمغمون في احتياج)
: هناك ذهب كثير ... البيوت فوقها ذهب .

جوان

: شيبانحو . سنكتسح مدنهم .

جندي

: الغنائم يا رجال .

بحار

: مجد وذهب لكم جميعا . والآن اذهبوا (هم الآن
مهالون وفرحون . يهتفون « ارفعوا المرساة . هذه
كاناي . اخيرا . اتنا مبحسرون . سلب ونهب .
ثراء . ذهب » الخ ... يصرخ جوان بصوت أعلى
من ضجيجهم) اذهبوا . تفرقوا . فلدا نبحر .
(يهتف أحدهم « عاش دون جوان » فتتلففها منه
الفوغاء . ويبدأ دون جوان يتراخى تحت ضغط
المجهود الذي بذله - بصوت متعب) اذهبوا .
اذهبوا ...

جوان

: (يقودهم بحار ينشدون نوعا من النغم في كورس
هائل ، وهم يرقصون بوحشية وعنف ، ملوحين
بمشاعلهم ، متزاحمين على الخروج ، في المؤخرة)
مدن الذهب ،

الفوغاء

في كاناي البعيدة ،

وملكها ، خان الأكبر ، عجوز هرم ،

وتروته ليس لها مثيل ،

يفوز بها الشجعان ،

الذين يبحرون ،

ذهبه للشجعان الذين يبحرون .

بياتريز : (اذ يختفى آخر الغوغاء - تندفع صاعدة الى جوان

في اعجاب عظيم) لقد انقذته . ان ما يقولونه عنك

صدق حقا - ليون اسد . . . اسم على مسمى .

جوان : (في مرارة) اسد . كلا . بل سياسى ماهر . لو كنت

حقا كما كنت فى الماضى لما توسلت الى هؤلاء الكلاب

ولا ساومتهم . . بل (يرفع سيفه مهندا ، ثم يتركه

ذراعه تسقط عاجزة . وينفخت السيف من بين

اصابعه ويسقط على الأرض)

بياتريز : (تركع بسرعة وتقدم اليه مقبض السيف) ارد

اليك سيفك ليجلب لك الحظ الحسن . والان يجب

ان تجد المدن الذهبية .

جوان : (ياخذ السيف وفي لهجة تمن وحنين) لست

احفل الا بشيء واحد يا بياتريز ، مدينة الشباب

الذهبية ، وانت فيها ملكة . (تتطلع في وجهه في

ابتسام وقد لفها الغموض ، والستار تنزل)

ستار

الفصل الثالث

النظر ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١

المنظر السابع

(بعد أربعة أشهر . جانب من شاطئ
فلوريدا . ليلة بهيجة في ضوء القمر . تمتد
الغابة من اليمين في المقدمة الى اليسار في
المؤخرة أشبه بحائط من الظلام الداكن .
وتلتصق الرمال التماعا أبيض شاحباً في ضوء
القمر . ويسمع الصوت الرتيب الذي يحدثه
مد الأمواج وجزرها في هذه الليلة الهادئة
الحالية من الريح .

عندما ترفع الستار تبين هندي واقفا في
ضوء القمر على حافة ظلال الغابة ، وهو متقدم
في السن ، ولكنه ما يزال مشدود القامة ،
مكتفيا بسمة الحطرين ، ويبدو من هيئته انه
زعيم . وبدنه ، الذي لا يستتره غير جلنجلال
حول الوسط ، مصبوغ بالألوان بعناية، وكذلك
وجهه . وفي شعره خصلة من الريش ، ويحمل
حول خصره فاسا هندية وسكينا حجرية .
يسدو ساكنا لا يتحرك كانه تمثال ، وقد

اعتمد بيده على قوسه كأنها عصا . ولكنه
يمد بصره في اهتمام وتفحص نحو شيء في
الحيط أمامه . وفي النهاية ، يطلق صوتا يدل
على الدهشة ، ويومئ إلى الغابة من خلفه
بحركة استدعاء ، فيخرج من العتمة الطبيب
الساحر ، وهو رجل عجوز هرم إلى درجة
بالغة ، ضامر متقلص ، يزين جسده برسوم
عديدة ملونة ، وحلى من العظام والأصناف .
يتباحث الاثنان معا في أصوات خفيفة
وايملات كثيرة ، ويبدو من الواضح أن هناك
رجلا يسبح نحوهم قائما في شيء غريب في
مرض البحر . يتسلل هنود آخرون من الغابة،
ويتجمعون في الظلام خلفهما ، ويشيرون
ويومنون إلى البحر . واذا يصدر الرئيس
أمرا ، يرفعون أقواسهم ، ويضعون السهام ،
ويتجمعون في كمين في الظلام . يحذو الزعيم
حنوهم، ويقف منتظرا متهينا لما قد يحدث .
يتقدم نالو على الشاطئ قائما من المقدمة في
اليسار . وتلمع حبات الماء على بطنه العاري .
ويرى الزعيم ، فيقف رافعا يده اليمنى فوق
رأسه . يرسل الزعيم إشارة فيندفع الهنود
الآخرون من الكمين ويحيطون بنالو)

- الزعيم : قيده .
- نانو : (في هدوء) أياكون الأخ عدوا ؟ (يتنبهون جميعا عند ما يسمعون أنه يتكلم لفتحهم . يمضي نانو في الحديث)
- هذه بلاد آبائي . أنا « نانو » أحد أبناء « بووانو » الذي كان زعيما . (يحملقون فيه جميعا . يشير الزعيم إلى الساحر ، فيتقدم ، ويتفحص وجه نانو بامعان)
- الساحر : كلماته صادقة . والا فان روحا شريرة تنقمص ريلنه . (يهز في وجهه رقية) هل انت من بلاد الموتى ؟
- نانو : أنا من أرض الأحياء . انهم لم يقيدوني . حسبوا أنني أخاف البحر . أنا قادم لتحذيركم . سبحت في الزوارق الكبيرة . انها سفن الأسبان الحربية .
- الزعيم : (وقد غمض عليه الأمر) من هم الأسبان ؟ ان زوارقهم المجنحة تشبه قوارب الآلهة .
- نانو : ليس هؤلاء آلهة . انهم بشر ، يموتون اذا جرحوا . وجوههم بيضاء ، ولكنهم أشرار . يرتدون قمصانا لا يمكن للسهم اختراقها . معهم عصي غريبة تبصق نارا وتقتل . شياطينهم تجعلهم أقوياء ، ولكنهم ليسوا محاربين بحق . انهم لصوص ، مفتصبون للنساء .
- الزعيم : اليس لهم اله ؟
- نانو : (باحتقار) الههم شيء من الأرض . هذا (يلمس حلية ذهبية من حلى الساحر)
- الساحر : (وقد غمض عليه الأمر) الذهب ؟ ان الذهب

مقدس عند الشمس . ولكنه لا يمكن أن يكون هو نفسه الها .

ناتو : (في ازدياء) انهم لا يرون الا الأشياء وحدها ، لا ما وراء الأشياء من روح . قلوبهم موحلة كبركة خاضت فيها الغزلان . حكماؤهم يتحدثون عن اله جاءهم منذ زمن بعيد في صورة بشر ، علمهم أن يحتقروا الأشياء ، علمهم أن يبحثوا عن الروح في الأشياء ، فانتقموا منه وقتلوه . عذبوه وقدموه قربانا لشیطانهم الذهب . عقدوا صليبا من قطعتين كبيرتين من الخشب ، وغرزوا عصيا صغيرة في يديه وقدميه ، وسمروه ... هكذا (عندما يمثل لهم ذلك ، تسرى بينهم همهمة ارتياح واستياء)

الساحر : يعذبون الها ؟ كيف تجاسروا ؟

ناتو : شياطينهم كانت تحميه . والآن يحملون ، أينما ذهبوا ، صورة لاله وهو يموت . يفعلون ذلك لانارة الخوف . يأمرؤك بالخضوع لهم ، بينما ترى أنه حتى الاله نفسه قد غلب هو أيضا ، عندما كافح شرورهم (في اعتزاز) ولكنني رفضت .

الطبيب : (متشككا) إذا كنت قد تحدثتهم ورفضت الاذعان ، فكيف بقيت حيا ؟

ناتو : انا اكثر منهم دهاء . ان لهم زعيما عجوزا عليه لعنة بالجنون . حدثته عن ينبوع الحياة ، وقلت له اننى سأجده له .

الساحر : الالهة وحدها هي التي يمكنها أن تكشف عنه . لماذا كذبت هذه الكذبة ؟

- ناتو : (بوحشية) الانتقام . لقد وضعت خطة . هل يوجد ينبوع قريب هنا ؟
- الزعيم : (حائرا) نعم فى الغابة .
- ناتو : (فى رضى) حسن . اصغ الى . هذا الزعيم المجنون اقوامهم جميعا . وبدونه يصبحون جميعا جناء . ساقوده غدا فى الليل الى ينبوع . ويجب ان تظلوا انتم تخبئين . وسنقتله هناك . هل هذا واضح ؟
- الزعيم : نعم .
- ناتو : ساسبح الان عائدا . لقد فررت لانيتم بخطتى واحذركم . سيخربون ارضكم كما خربوا ارضى . لقد قتلوا زوجاتى واطفالى . حرقوا المحاريين وعذبوهم وقيدوهم بالسلاسل من اعناقهم . انهم يضربونهم بالسياط ليحرقوا الحقول . لقد كان على راسهم ذلك الزعيم المعجوز . ان فى قلبى نارا ، ولن يهدأ قلبى حتى يموت ذلك الرجل .
- الزعيم : لقد بدأت اشعر بحقلك .
- ناتو : اذن فلا تنس ان تخبىء قرب ينبوع .
- الزعيم : لن انسى .
- ناتو : هذا حسن (يستدير ويسير الى البحر ويقفون يراقبونه فى صمت)
- الساحر : (فى اضطراب ، مفكرا) الشياطين وحدها تستطيع ان تبني زوارق كبيرة تطير بانجنحة . انهم يا اشدقائى ، ارواح شريرة . لقد حاربهم ناتو وقهروه . هل نستطيع ان نعتد على خطته .

الزعيم : بماذا تشير علينا ؟
 الساحر : لقد سمعت صوت الروح العليا تتحدث في الليل .
 فلنحاول أولا استرضاء شياطينهم .
 الزعيم : إنما لا أعرف كيف أحارب الشياطين . هذا واجبك .
 فلنتشاور في الأمر . (يشير فيختفى أتباعه في
 الغابة في صمت . ويتبعهم هو والطبيب الساحر ،
 إذ تنزل الستار)

المنظر الثامن

(نفس المنظر ، ظهر اليوم التالي ،
والشمس المتهبة تسطع بضوئها على
الشاطئ . الاعياء والحر اللافتح يسبغان جوا
ثقيلًا ، وتبدو الأرض كأنها قد ماتت وتحنطت
في سائل منصهر لا لون له ، والغابة كأنها
حائط أخضر ، ولصوت البحر طلع الإرهاق
البالغ .

يقام على الشاطئ ملهى مسيحي على
عجل : جذعان مستديران يستندان لوحا
حجريًا . وعلى قمة اللوح وضع وعاء صنع
من لحاء الشجر على شكل صحن . جماعة
من الهنود يقومون بتجاوز الترتيبات النهائية
لإقامة هذا الهيكل تحت إرشاد الطبيب
الساحر ، دون أن ينقطعوا عنلقاء نظرات
توقع مرتاعة صوب البحر . الساحر يعقد
غصنين معا على هيئة صليب . كل الهنود
مترنسون بالريش والألوان كما يفعلون في
المناسبات البالغة الأهمية)

الهنود : (يعملون وعيونهم على البحر - خائفين) الزوارق الصغيرة تفادر الزوارق الكبيرة المجنحة . انهم قادمون . الشمس تلمع على قمصاتهم التي لا يمكن ان تخترقها السهام . وعصيم النار تلتالا في الشمس . وجوههم شاحبة . انهم يراقبوننا .

الساحر : (منجزا عمله) احتفظوا بشجاعتكم . (مناولا الصليب الى اثنين من الهنود) خدا ... هذه تعويذتهم . اقياما هناك (يحفران حفرة في الرمال امام المذبح ويقيمان فيها الصليب ، ولكنهم يخطئون فيضعون الصليب مقلوبا . الساحر يفمغم راضيا) سيظنون اننا نعبد نفس الشيطان . سيتركونا في سلام .

الهندي : (عيناه على البحر) الزورق الاخير انفصل عن السفن الكبيرة (يطلق صرخة رعب يرددها الآخرون) ياي . نار ودخان . (ينحنون في خوف . وتدوى فوق مياه البحر طلقة تحية من المدفع . يتكمشون جميعا في رعب وقد احنوا رؤوسهم)

الهندي : (في رعب) الرعد يحارب في صفهم . هندي آخر : انهم آلهة بيض .

الساحر : (وقد خاف هو نفسه ولكنه يجمع شمل أتباعه في قسوة) ان لكم قلوب الجبناء . هيا ، بسرعة . أين الذهب ؟ (ياتي اليه هندي بآنية مصنوعة من الطين المجفف . يفرغها في الوعاء الموضوع على قمة المذبح . الآنية مليئة بالسبائك الذهبية من مختلف

الانحجام فتصبح كومة وهاجة في ضوء الشمس)

الهنود : انهم قادمون ! انهم قادمون !

الساحر : تظاهروا بعبادة شيطانهم الذهبي ، ولكن صلوا

لأمتنا العظيمة ، الشمس . أنها تستطيع أن تقهر

كل الشياطين . صلوا لها . (يبدأ هندي في القرع

قرعاً منغوما على طبلة صغيرة ، ويرفع الرجل

صوته المرتعش مع الأنغام الأولى . فيشترك

الآخرون معه على الفور كآلهم منومون) أما

العظيمة ، الجبارة ، حاکمة الأرض ، صانعة الأيام ،

اسمحي لانتشادنا أن يصعد اليك ، وأن يدخل

قلبك أيتها الجبارة ، اسمعينا ولا تخفي عنا وجهك

في السحب ، وباركينا عند الفجر ، وفي نهاية النهار .

(يقفون في دائرة ويرقصون حول اللنج وعبودهم

مرفوعة إلى السماء . يخفي آتشادهم أصوات

نزول الأسبانيين إلى البر . ثم يظهر الأسبانيون

من اليسار ، في المقدمة . يدخل جوان أولا .

وجهه قاس مرید ، وعيناه ثابتتان في محجريهما .

وفي صحبته لويز ، وتتبعهما فصيلة من الجنود

يحرصون نأقو مقيدا بالسلاسل . ثم يأتي أربعة

من الرهبان الفرنسيين يقدّمون كوسادا مسلحا

بسياف ومسدس فوق المسح الفنى يرتديه . والآخرون

يحملون صليباً . ويتبع هؤلاء جماعة من النبلاء

في ثياب فاخرة ، ثم صفوف من الجنود . ويحلق

الجميع في هذه الطقوس الهندية باحتقار وازدراء)

جوان : (عصبيا) دعهم يكفوا عن ضجيجهم الملمون
يا لويز . دع نانو يتحدث اليهم .

لويز : (متقدما نحو الهنود - في صوت مرتفع ولكن
ودود ، رافعا يده اليمنى) سلاما ايها الاخوة .
(يتوقف الهنود متحجرين يحملقون في رعب الى
الرجال البيض . الساحر يرفع يده اليمنى ويتقدم
خطوة نحو لويز . يلمح كويسادا الصليب فيزجر
متعجبا ، ثم يتقدم ليتأكد مما رأى ، وعندما يرى
انه مقلوب حقا . يردد وجهه بالحنق الشديد)

كويسادا : صليب مقلوب : صلاة شيطانية (يخرج مسدسه)
الكلب الكافر . (يطلق الرصاص فيسقط الساحر .
الهنود الذين تراجعوا في رعب نحو الغابة منذ اول
حركة من كويسادا ، يولون الانذار فزعين)

لويز : (في هلع) كف يا كويسادا . (كويسادا ينزع
الصليب ، واذا يقوم بتثبيتته في وضعه الطبيعي ،
ينزع الهندي سكينه بأخر ما بقي له من قوة قبل
الموت ، ويتحامل ناهضا على قدميه ، ويطن
كويسادا في ظهره ، ويسقط الاثنان معا ، ويموت
الهندي ، بينما كويسادا تصيبه رعدة ثم يسكن .
يطلق الأسبانيون صرخة حنق . ويندفعون الى الامام
صوب الغابة كالما ليطاردوا الهنود ، ولكن جوان
يصرخ فيهم آمرا)

جوان : قفوا ايها الأغبياء . (يقفون في تعقل واستياء معا .
يستدير جوان الى لويز الذي دبح الى جوار
كويسادا) هل مات ؟

لويز : نعم . (يرسم على نفسه علامة الصليب) فلترقد روحه في سلام (ويردد الجميع قوله وهم يرسمون علامة الصليب)

جوان : العين بالعين والسن بالسن (ساخرا) وهى الآن عينه هو وسنه هو . (مرتعدا) خذوه بعيدا . هذا تعمد دموى لكائى (مستديرا الى نانو ، اذ يحمل الجنود الجثتين جانباً) اهذه هى البلاد يا نانو ؟

نانو : (وعيناه تتقدان كراهية) نعم .
جوان : لقد قلت انها ارض العجائب ، ارض الازهار ، ولكننى لا ارى ازهارا .

نانو : (فى لهجة خبيثة) فى الغابة . تنمو الازهار الى جوار ينبوع ..

جوان : (فى عنف - وهو ينظر حوله متوجسا) اسكت .
أحد النبلاء : (من الجماعة التى تدور فى المكان نافذة الصبر) يا صاحب السعادة ، ان اعلام قسطة وارايجون تنتظر أوامرك .

جوان : (يقوم بحركة تدل على الاضطراب ، كلما يزيح عن ذهنه نسيجا عنكبوتيا) نعم .. نعم .. لابد ان اعلن الامتلاك .. هاتوا الاعلام . (يركع على ركبته واحدة ، ويفعل الجميع مثله) باسم السيد المسيح ، وباسم صاحب الجلالة الجالس على عرش قسطة وارايجون ، اضم الآن الى ممتلكاته هذه البلاد وكل نواحيها . واسمها فلورينا . (ينحنى ويقبل الرمال . تثبت سوارى الاعلام فى الرمال ، وتندلى

الأعلام فوقها دون حركة . وعندما يقوم جوان
بهذا الجهد يبدو كأنه تبلد)

أحد النبلاء : (في همس ساخر) اسم جميل .

نبيل آخر : لقد أصبح غيبا . أترأه سيذهب باحنا عن ينبوعه
هنا أيضا ؟ لابد أنه سيموت غرقا من كثرة ما شرب
من ماء طيلة الشهور الأربعة الماضية . (يتنصاهز
الجميع على هذا)

نبيل آخر : (نافذ الصبر) ان ينهض من على ركبتيه أبدا
فتركنا ننهض ؟

لويز : (وقد أحس بما يدور خلفهما - يلتفت الى جوان
الذي يبدو أنه يصلي وقد أحنى رأسه - يشده
من كمه) جوان . هيا .

جوان : (في شرود) كنت أصلى . ولكن لاى اله ؟ لست
أدرى (ينهض في ضعف ، وعند ذلك ينهضون
جميعا)

أحد النبلاء : (مشيرا في الأفعال) انظر . هناك في تلك الآنية فوق
الأحجار . اليس ذلك ذهباً ؟ (يندفعون جميعا الى
الذبح . يمسك النبيل بقطعة منها ويتحشرج صوته
بما فيه من جشع وظفر) ذهب . (يمدون جميعا
أيديهم الى الآنية يمسكون بها ، فتقلب محتوياتها
على الرمال ، فيسقطون وراءها يمسكون بها صارخين)
ذهب ! لابد أن هذه البلاد غنية . لابد أن يكون فيها
مزيد من الذهب . المدن الذهبية قريبة . كائى .
أخيرا . (ينسى الجنود النظام ، ويخرجون من
الصفوف ، ويتحولون الى جمهرة متدفقة حول

القائد ، دون نظام . وحتى الرهبان أنفسهم يبرزون
الى الامام مستطعين)

لويز : (فى حمية) جوان . انظر . هذا مسين .

جوان : (يرتد الى نفسه فجأة - أمرا فى لهجة عنيفة)

عودوا الى الصفوف . انكم تضربون مثلا رائعا يا نبلاء
اسبانيا . (تطفى قوة شخصيته ، فيتسللون جميعا
عائدين الى النظام وهم يغفغفون فى ثمرد . ويبدو
جوان وقد تملكه فجأة فرح وحشى) كائى . لقد
عثرنا على كائى . هذه هى البلاد . . البلاد المزهرة .
ان احلامنا تكمن هنا . فلنرتل جميعا صلاة الشكر
للرب . . . هيا .

(يطبق الصمت الثقيل لحظة تبدو فيها الحرارة ،
والشمس المتوهجة على الشاطئ ، وخضرة الغابة ،
بل الطبيعة كلها ، كائى تسلط على هؤلاء الرجال اثرا
سحرى غامضا ، اعترافا متهالكا مفاجئا بهزيمتهم .
ثم يرفع الرهبان الفرنسيون اصواتهم بصلاة
الشكر على نحو آلى لا روح فيه . وبالتدرج تنضم
اليهم اصوات اخرى لا حياة فيها ، بينما تنزل
الستار . .)

ستار

المنظر التاسع

(حوالى منتصف الليل فى الغابة . فى المقدمة
جلوع اشجار تلف حولها كروم مزهرة .
طحالب سبائية متسلقة متلية الى الارض
من الأغصان . من خلال هذا التشابك ، ساحة
دائرية نبتت فيها الحشائش وأفرقها ضوء
القمر . يسمع همس خرير هادىء فى ينبوع
منبثق بفقاعيه من الأرض . وسط هذه
الساحة هنود راقدون فى كمين بين الأشجار ،
دون حركة ، وقد ثبتوا انظارهم على الساحة .
ويقطع السكون نداء طير فينتبه الهنود فى
يقظة . يصفر أحدهم نجيبا ، فيزحف هندي ،
من اليسار ، مسرعا . ويأتى الزعيم من مكانه
فى الكمين ليقابله)

الزعيم : أهو آت ؟
الهندي : دخل الغابة .
الزعيم : سمعنا نانو الإشارة حينما نستعد . اذهب .
اختبئ (ياخذ الهندي مكانا بين الآخرين . يضع

الزعيم سهما في قوسه ، ويقع في الظلام ، فترة
صمت . ثم صوت شخص يشق طريقه في القلعة
عند المؤخرة . يظهر نانو هناك يتبعه جوان)

جوان : لماذا توقفت ؟

نانو : هذا هو المكان .

جوان : (ناظرا حوله في خيبة أمل) هذا ؟

نانو : هذا هو ينبوع .

جوان : (يخطو الى الامام لينظر اليه - ثم في غضب متزايد)

انه يبدو ينبوعا عاديا كأي ينبوع آخر . حذار ايها
الكلب ! لقد اريتني في هذه الشهور الماضية ينابيع
عدة .

نانو : (بسرعة) كانت الرحلة طويلة . وكانت هناك جزر

كثيرة . واجبرتني انت ان اقولك الى ينبوع في كل
منها . ولقد اخبرتكم ان ينبوع الحياة هنا .

جوان : كنت اخشى ان تقولك رغبتك في الانتقال الى الكلب .

(ويروح في شرود حزين - بمرارة) لقد شربت من

كل ينبوع . وكنت اغمض عيني ، واشعر بالحياة

تولد من جديد . يالى من احمق ! لقد كانت امرأة

الينبوع تطلع على كل مرة بنفس الوجه العطن

الكريه . (يئن مزجرا - ثم بفصحكة خشنة) روضة

مقدسة ، هكذا تقول الاسطورة . كانت بعض هذه

الينابيع تنبثق من مياه رملية . والعلاري الحسان ؟

لم يكن لهن وجود . بل وجلت قرب واحدة منها

عجوزا شمطاء تملأ وعاءها ، وشربت وتجشأت في

وجهي (بلهجة امرأة جافلة) نانو . امرك ان تقول

لي ان كنت كذبت على . (في شرود) لابد ان اصل
الى اليقين ، ايماننا كان أم ياسا .

نانو : هذا هو ينبوع .

چوان : (ناظرا حوله) ولكن أين الأشجار بشمارها الذهبية،

والمدارى ، والنافورة ؟ (يحلق حائرا - متمسكا

بالأمل) ومع ذلك فان لهذه البقعة جمالا فريدا .

انا احس بسحر المكان . ولكن لماذا ارتعد ؟

(اشارة بالصغير الخفيض تانى من الزعيم المختبىء في

طرف الساحة . يهب چوان) شش . ما هذا ؟

نانو : طائر . (باصرار) انه ينبوع سحرى . اشرب .

چوان : (منحنيا على ينبوع) مرآة من ضوء القمر . عينا

جنة ميتة تحلق في عيني ... (يركع الى جوار

الينبوع كأنما أصابه سحره) لا اجرؤ على الشرب .

لمن استطيع ان اصلى ؟ يياتريز ! آه يياتريز ! لو

سمعت صوتك مرة أخرى ! لو رايت وجهك ! ومع

ذلك فانتى اراك في كل مكان . روحك تلهم كل

الاشياء اينما يكن الجمال . انا اسمع ندائك في أغنية

الموج ، الريح انفاسك ، وبلراعيك تمتد الأغصان ،

والفجر والغروب ينيان النفس بشفتيك . انت في

كل مكان ولست في اى مكان ، انت جزء من الحياة

كلها ، الا حياتى . (يتوقف ويلتفت في تشكك

وينظر بسرعة الى نانو القلق - في مرارة) منظرى

جدير بالضحك والسخرية ... هه ؟ عجوز قبيح

احبب .

نانو : (في لهجة أمرة عنيفة) اشرب .

چوان : (في ارتباك وعجلة - دافعا نفسه الى الحركة)
الامتحان ! يا روح الشباب الأبدى ، أصلى لك .
بياتريز ! (ينحنى ويشرب . واذا يفعل ذلك ينفلت
عنه نالو بسرعة الى الغابة ، في القفصة) .

نانو : (في عجلة) اقتلوه عندما يقف . (يمكن رؤية الهنود
يرفعون اقواسهم ويسعدون) .

چوان : (وقد شرب ، يظل راكعا عند ينبوع - ويرتعد
صوته في فرح متردد) الحياة الجديدة تنبض في . اهو
الشباب ؟ هل انا في حلم ؟ اذن فلأبقى فيه لأستيقظ
منه حتى آخر الزمن . (في صوت أجش) جبان !
كم من مرة وقفت تواجه الموت . هل أنت الآن خائف
من الحياة ؟ افتح عينيك ، افتحهما وانظر (يفتح
عينيه ويحمل في ينبوع . فتشقق صدره زجرة
هائلة) رباد ! (ويتحول حزنه على الفور الى غضب
جنوني) ايها الكلب الخائن ، لقد خدعتني . (ويقفز
ناهضا على قدميه مستلا سيفه ، وتسمع أصوات
شد اقواس كثيرة ، وأزيز وإبل من السهام . يسقط
چوان متشبثا بالحشائش ، وتخمد أنفاسه .
يتدفق الهنود خارجين من الساحة ، ولكنهم يقفون
على مبعدة من چوان في حذر)

نانو : (وهو أشجع منهم ، ينحنى على الجثة) لم يكن
يرتدى قميصا لامعا . انه ميت (يرقص رقصة
عنيفة من رقصات الانتصار بين الهنود ، الى

جانب الجثة - وكما بداها فجأة يتوقف فجأة)
هيا بسرعة ، الى معسكرهم . لقد جعلهم الروح
الاعظم بلا حول ولا قوة . كونوا شجمان واقتلوا .
(يجرى بسرعة داخل الغابة ، تتبعه الجماعة كلها
شاهرين اسلحتهم . فترة ، ثم صرخات الهنود
الوحشية وهم يهجمون على المعسكر النائم ،
وصرخات الرعب من الأسبانين ، وآيات المختصرين ،
وبضع طلقات فاشلة)

ستار

المنظر العاشر

(نفس الساحة في الغابة بعد بضع ساعات .
لا تظهر الآن الأشجار ، بل تبدو الساحة
وحدها تشغل المنظر كله . الينبوع في الوسط .
الجدار المكون من أشجار الغابة يؤلف مؤخرة
شبه دائرية تقريبا . ويرتفع الستار عن ظلام
حالك وسكون لا يشوبه إلا خرير الينبوع .
ثم يسمع صوت شخص يناضل لينهض من
الأرض ثم يسقط وهو يزوم متألما . يأتي
صوت جوان من الظلام)

جوان : (كلما قد استعاد وعيه - في زجرة غضب والم
اذ يسترجع ذاكرته) يا لى من أحق ! لماذا فتحت
عينى ونظرت ؟ يا ليتنى كنت مت فى حلمى ! (فترة -
فى ضعف) كان النوم يطن فى اذنى . أم هو الموت ؟
الموت الرحيم . (يتعمل ويصيح صوته فجأة ثاقبا)
كلا . كلا . لماذا عشت ؟ لكى أموت وحيدا كوحش فى
البرية ؟ (يياس مريز ساخر) يسوع ... أهذه

عدالتك ؟ الا يعرف التسامح مخلص البشر ؟ نعم ،
لقد صليت من أجل معجزة ليست من معجزاتك ،
فلاكن لمعونا اذن . ولكن (بعاطفة متاججة)
اجعلنى اومن بمملكتك . ارضى بمعجزتك .. اشارة
.. كلمة .. لمحة ارى فيها ما انا ، حتى اكون قد
عشت ومث . تجربة .

(يضحك في حركة تجاسر ساخرة) لا شيء . (لكن ،
حتى وهو يتكلم ، يبدأ خيط من الضوء الغريب
يتدفق على نقطة من طرف الساحة في اليمين ،
فتاخذه الدهشة رغما عنه) هذا الضوء ؟ أن القمر
محتجب . (ومن خلال الضوء المتزايد تنضح معالم
جسم ، جسم امرأة طويلة ، كقطعة من تمثال
تاريخي متدثر في غلالات طويلة في لون أزرق كأنه
أسود تقريبا ، والوجه قناع شاحب لاتبين من ملامحه
الا العينان اللتان تحمقان الى الأمام في نفاذ حجرى
ثابت يخترق الأشياء فيراها وما وراءها . ذراعاها
جامدتان الى جانبيها ، وكفاهما مبسوطتان الى
الخارج . يخلق جوان فيها ، يصطرع في نفسه
التحنى مع الروح) ماذا أنت ؟ (يقتصب ابتسامة
سخرية) ملاك ! استجابة لصلاتي ! (لا يستطيع أن
يتمالك رجفة تصيبه - يحاول أن يهدئ نفسه .
يخلق في الجسم - بعد فترة - بجسنة) أم أنت
الموت ؟ لماذا اذن كنت أضحك كثيرا وأنا أمامك وجها
لوجه ؟ (مستثرا) ارفع قناعك ايها الجبان .
(ساخرا دون اطمئنان) ايها السيدة الحناء ،

انت غامضة . ينبغي على المرء ان يطوقك بلذرايين
 جريئتين ، وان يرفع عنك تنكرك . كانت هذه
 تسليتي القديمة ، ان الهو بالغرام كما لو كان مباراة
 في الصيد والقنص . لو كنت ما ازال ذلك الدون
 چوان ! ! ولكننى كما ترى الان عجوز ، وجريح .
 (يترىث . الجسم يتجمد . چوان يسأل فى شيء
 من التلثم) هل انت ... الموت ؟ اذن انتظر .
 (فى ابتهاال عميق) يياتريز . دعينى اسمع صوتك
 مرة اخرى رحمة بى فى موقف الوداع . (ياتى
 صوت يياتريز يغنى من الظلام كما لو كان استجابة
 لابتهاال چوان)

الصوت :

الحب زهرة ،

دائما مزدهرة .

الحياة ينبوع ،

دائما يتدفق ،

الى العلا ، ليمسك بضوء الشمس الذهبى .

ويبلغ السماء اللازوردية .

يهوى ويسقط ،

ودائما يعود ،

ليقبل الأرض كى يزدهر الزهور .

چوان :

(فى جفل) الشباب ! (وفى أثناء الفناء يتدفق

البضوء الغريب ببطء حول ينبوع الذى يتحول

الى نافورة هائلة ، تبدو مياها التى يطوقها قوس

قزح وكتهاا تضم السماء والأرض ، فى غلالة من

النور المتألق تحجب الغابة في المؤخرة . ويصبح
 جوان والجسم على حافة هذا المنظر في الخارج .
 يمتد جسم بياتريز في الداخل كأنه صاعد من
 الينبوع . وترقص بياتريز في نشوة - تمثيلا لروح
 الينبوع . يهتف جوان بصوت يختلج سعادة
 وفرحا (الينبوع ! فلاشرب . (يحاول أن يجر
 نفسه إليه ولكنه لا يستطيع - في قلق (الأبد ان
 اموت . . ؟) يشير اشارة تحد غاضبة الى الجسم
 وهو يناضل للنهوض (لا . انا احنك . (يشعر
 بالارهاق فيهوى نائية وهويكى متضرعا (بياتريز !
) يبدو انها لا تراه ولا تسمعه . جوان في يأسه يكاد
 ينتحب (هي لن ترى . ولن تسمع . ايها الينبوع ،
 انت قاس قلب الشباب ، ماذا لديك من رحمة
 للعجوز وللجريح ؟) يتهاوى وقد غلبه الضعف .
 تتلاشى بياتريز من الينبوع . ويظهر مكانها شبح
 يمثل شاعرا صينيا ، وهو رجل عجوز مقدس له
 سماحة وجه الخالم والعالم ، يحمل لوحة يكتب
 عليها بفرشاة غارفا في التأمل . جوان يرفع بصره
 فيراه وينتبه في دهشة (من انت ؟ ما شأنك ؟
) متكلما اثرا يعينه في الذاكرة (آه انا اعرف . . .
 تلك الليلة في غرناطة . . . حكاية العربي (في
 احتياج) عن ذلك الشاعر في الشرق ، الذي اخبر
 والده باكذوبة الينبوع . الست انت ذلك الذي
 يسم الحياة ؟) يرفع الشاعر يده كأنه يستدعي
 شخصا . ويظهر الى جانبه شبح المنشد العربي

الذي رأيناه في المنظر الأول . (المربى ! هاتجا)
ايها الكلب الكافر . كذبتك كانت لعنة عليك .
(يظهر شبح نانو الى جانب الشاعر الصيني من
الناحية الأخرى . يناضل جوان في غضب ليبلغ
سيفه) القاتل ! (ثم تقع عيناه على جسم رابع
يتجسد الى جانب المربى ، هو لويز كما كان في
المنظر الأول . يقول جوان بصرخة فرح) لويز
ايها الصديق القديم . (اذ يبدو أن لويز لا يراه
ولا يسمعه ، يتهاوى جوان في غير حول ولا قوة)
لا ، هذا شبح هازيء آخر . (يراقب الشاعر
الصيني الذي يبدو كأنه يقرأ على الجميع ما كتب)
انظر . ان الموتى يكذبون على الأحياء . وهكذا
تسير الأمور . . من الشرق الى الغرب . . حول العالم
المستدير . . من العوالم القديمة الى الجديدة .
ها ها ها . (يضحك بصوت وحشي أجش .
الشاعر الصيني يأخذ الهندي بيد ، والعربي باليد
الأخرى ، ويمد هذان أيديهما الى لويز ، فينضم
اليهما ، وتتم بهم هكذا دائرة كاملة ، ويسمع
صوت بياتريرز تغنى)

الصوت :

الحياة حقل ،

متزايد أبدا .

الجمال ينبوع ،

متدفق أبدا .

متسلما الى ما وراء مصدر الشمس ،

متسلما الى ما وراء السماء اللازوردية .

انه من الله ،
ولكنه يعود أبدا ،
ليمتزج بالأرض لكي تثمر الحقول .

(وبينما تفنى بياتريز تتلاشى الأشباح الأربعة كلها
ذابت في الينبوع)

جوان : (غارفا في نشوة الأفنية) غن ، غن ، أيها الشباب .
(بهم فزعاً عندما تتوقف الأفنية ، ثم يقول في غباء)
ذهبت الأشباح . ما هو حل هذا اللغز ؟ لست
شاعرا . كنت أناضل في سبيل ما يمكن لليد أن
تبلغه . فماذا يبقى عندما يجعل الموت اليدين
عاجزتين ؟ (مخاطبا الشبح في رثاء ، محاولا أن
يتهمك) أيها الجبار ، يا من تفك قبضة الأيادي ، أما
لديك من رؤيا للمتشبثين بالأرض ؟ (يرفع الشبح
يده في حركة استدعاء ، فتبدأ الأشباح في الظهور ،
واحدا بعد الآخر . يظهر أولا الشاعر الصيني
مرتديا الآن زي كاهن بوذي ، ثم المنشد العربي
في زي شيخ مسلم ، ثم الطبيب الساحر كما كان
في النظر الثامن وقد تزين بكل أصباغه وحليته
الرسمية ، وأخيرا لويز كما هو الآن راهب
دومينيكي . ويحمل كل منهم شعار دينه أمامه ،
ويبتدون جميعا في وضوح ، لحظة ، ثم يتلاشون
كلها ذابوا في الينبوع . وكان جوان يحملق فيهم
بعين متفحصة - ثم يقول في صوت حائر (المقائد
كلها ... تتلاشى . كلها واحدة ومتساوية ... في
داخلها . (الرهبة والتوقير يتسللان الآن إلى

صوته) ماذا انت ايها الينبوع ؟ ذلك الذى تنبع
منه كل الحياة ، واليه ينبغى ان تعود ، الله ! ا تكون
منك كل الاحلام الا ذلك الحلم الواحد . (يحنى
ورأسه فى بؤس) لست ادرى . عد ايها الشبيب .
اكشف لى هذا السر . (وتقر لحظة يسمع فيها
صوت بياتريز قادما من الظلام)

الموت شبيب ،

يحجب شروق الشمس .

(يبدو أن جوان قد وقع فى سنة من النشوة .
شيخ امرأة هندية عجوز يظهر من اليسار . تتقدم
الى الامام متعثرة الخطى ، تحمل تحت ذراعها آية
خشبية كأنما هى ذاهبة تملأها من الينبوع)

جوان : (يتذكرها فيقول فى استبشاع) ايتها الشماء
الملعونة ، أنا اذكرك وقد وقفت الى جوار احد
البنابيع لتسخرى منى . اغربى عنى . (ولكن
المرأة العجوز تمد يديها نحوه فى تفرع غامض .
جوان يرتعش ، وبعد نضال مع نفسه ينهض على
قدميه فى ألم شديد) فليكن ما تشائين . اجلسى
الى جانبي . انا ، ايضا ، عجوز . وانت ، ايتها
المرأة البائسة لا تقوين على ملء وعائك . تعالى .
(ياخذ يديها . وفى لمح البصر يختفى من على
وجهها قناع الشيخوخة . انها بياتريز . جوان
يحملق فيها متشيا . وفى تعلم ، اذ يسمي ذهنه
الى تلمس الأمور ، يقول) بياتريز ، العمر ، الشبيب
اتهما نعم الحياة الابدية . (ودون أن يلحظ هو . تنفقت

منه بياتريز وتلاشى في الينبوع . يرفع وجهه الى
 السماء في فرح شديد) اتي الضوء . الضوء يتسلل
 الى روحى . (ثم يرى الشيخ يسير ببطء ليتلاشى
 في الينبوع) لم يعد هناك موت . (يظهر الشيخ
 ثاقية داخل الينبوع ، ولكن دون قناع هذه المرة ،
 والوجه وجه بياتريز ، وقد اصبحت طويلة جليلة
 تقوى بالقوة ، وذراعاها مرفوعتان فوق رأسها ،
 وبينها كله مشرب الى الأعلا ، ومن مصدر الينبوع
 تنبعث نار شغافة راقصة تطفئ عليها وتلفها حتى
 يصبح شبحها كأنه قلب الذهب . يخلق جوان في
 هذا النظر حظة ، ثم يسقط على ركبتيه في سعادة
 واقتشاء) فهمت . ينبوع خالد ، زمن لا نهاية له .
 لهيب الروح يحول الموت ويغيره . كل شيء في
 السريرة . كل الأشياء تدوب وتتدفق الى الأبد .
 يانار الحياة الطامحة ، اكتسحى روح البشر المظلمة ،
 ولنحترق جميعا في وحدتك (يعلو صوت بياتريز
 بالغناء مزهوا بالنصر)

الصوت : الله زهرة ،

مونة أبدا .

الله ينبوع ،

متدفق أبدا .

(تتوقف الأفنية . ويخبو الضوء . ثم يسود

الظلام . ويسمع صوت جوان يتهدج بالسعادة)

جوان : يا الهى ، يا ينبوع الخلود ، انت الكل في واحد ،

الواحد في الكل ، الصميرة الخالدة التى هى

الجمال (يغيب عن الوعي . صمت . ثم يفهم
ساحة الغابة ضوء الفجر الباهت . ويرى جوان
راقداً حيث سقط . يسمع صوت شخص قادم
من الغابة في المؤخرة ، ويدخل لويز وراهب
دومينيكي خارجين من الغابة)

لويز : (يرى جوان) شكراً لله (يندفع الى الامام ، ويركع
الى جانب جوان . يتقلب جوان قليلاً وهو يتأوه)
انه يتحرك . جوان . انا لويز . لقد قتل اصدقاءنا .
وهناك قارب من الاسطول ينتظر .

جوان : (في نشوة حالة) يا الهى ، انت الكل
الراهب : انه يصلى .

لويز : انه فى غيبوبة . فلنحمله . سنبحر الى اقرب
مركز من مراكزنا .

جوان : (وهم يحملونه) الضوء . اننى ارى ، واعلم .
لويز : انه الفجر يا جوان .

جوان : (فى رضى ونشوة) الفجر ! (يحملونه ويخرجون
بينما تنزل الستار)

ستار

المنظر الحادى عشر

(بعد بضعة أشهر . فناء الدير الدومينيكي
فى كويا . فى الوسط نافورة صغيرة بسيطة ،
هى الزينة الوحيدة فى هذه الرقعة المربعة
العارية ، تحت أشعة الشمس المحرقة ، وقد
أحاط بها ، فى اليسار والمؤخرة جدار أبيض
مرتفع ، وفى اليمين بناء الدير نفسه .
والمخل عبارة عن منفذ مقوس عليه صليب
من الخشب المحفور . وعلى جانبى الباب
كوتان فىهما تمائيل بدائية من الخشب للعائلة
المقدسة وللقيس دومينيك . وفى الحائط ،
فى الوسط ، باب مقوس آخر فوقه صليب .
ويمكن أن تُتَبَّن الطبيعة ، ونحس بها ، فيما
وراء الجدار ، حية عامرة بالألوان ، تموج
بالحياة الاستوائية الفياضة المتعددة الألوان .
وأشجار النخيل منحنية على الجدار ، تلقى
ظلالها المائسة فى الداخل . والكروم المزهرة
قد تسلقت الى القمة وبدأت تزحف هابطة
الى الداخل .

السماء في ساعة الغروب توج في عمقها
بروعة باهرة .

عندما ترتفع الستار نثنين جوان وكبير
الرهبان . جوان نائم متمدًا على مقعد من
مقاعد الرضى العاجزين ، صنع بطريقة
ارتجالية ، وقد تدثر بعباءته ، وجلس في
مواجهة النافورة ، وهو صاحب متغير ،
ولكن ملاحظه المتعبه قد اكتسبت الآن طابعا
جديدا تماما . هدوء الصفاء الروحي العميق .
كبير الرهبان رجل ممتلئ الجسم ، له وجه
بسيط مستدير ، أشيب الرأس واللحية .
عيناه الواسعتان هادئتان كاعين البقر . يفتح
باب المؤخرة ويدخل لويز . يفلق الباب
خلفه في حرص ، ويتقدم على اطراف
أصابعه (

لويز : (هامسا) اهو نائم ؟

كبير الرهبان : كما ترى أيها الاب .

لويز : (ناظرا الى جوان) ما اهدأ وجهه ! كأننا رأى رؤيا

فلا القلب سلاما .

كبير الرهبان : انها معجزة مباركة ان عاش حتى الآن .

لويز : كان ينتظر . (في حزن) والآن . أخشى ان تكون

رقبته قد تحققت ، ولكن ليس كما كان يحلم . .

وانما هي كأس المر والحنظل . .

كبير الرهبان: (وقد غمض عليه الأمر) هل تعنى أن السفينة تحمل له أنباء سيئة ؟

لويز : نعم . ولابد أن أوقفه لأهبط ذهنه .

كبير الرهبان: سأتركه لك . لقد حانت صلاة المساء . (يستدير ويمضى داخلا الدير)

لويز : (يلمس ذراع جوان - برقة) جوان ، استيقظ .

(يفتح جوان عينيه) لقد رست السفينة .

جوان : من بورتوريكو ؟

لويز : نعم .

جوان : (وعليه ملامح الثقة - في فرح عظيم) اذن فياتريز هنا .

لويز : (مرتبكا - متهريا) لقد قام الهنود بفتنة فظيعة .

وقتل ديجو . (بسرعة) ولكن لن أزعجك بهذا .

(ثم يبطء) فياتريز آتية لتمريرك . (مؤكدا

تحذيره) انت أبوها الثانى ، هكذا قالت .

جوان : (مبتسما) لا حاجة بك الى التاكيد . أمرف قلبها .

(ثم فى اهتمام) ولكن لابد أن أطلعها على الحقيقة .

(ثم على نحو من التضرع مطالبا بالضمآن) لهذا

كان انتظارى . لكى أحدثها عن الحب الذى شعرت

به نحوها .. الآن .. مودعا .. فلن تستطيع ان

تسئ فهمى . (فى كبرياء) لم يكن حبنى شيئا

عاديا . كانت هذه أول مرة يمسى فيها الجمال

حياتى . أريد ان أعيش فى ذاكرتها على نحو

ما كانت هى بالنسبة الى (متهاويا - وعلى وجهه

شبح ابتسامة ، وبصوت ضعيف) هيا أيها

الصديق القديم ، ابلغ بك النسك والتعشف ان.
تنكر على حقى فى أن أضع هذه المدينة الذهبية —
المدينة الوحيدة التى فتحتها — هند أقدام الجمال ؟
(**محاو لا اقناعه فى عطف ورقة**) الصمت أفضل.
يا جوان . ينبغي أن تتخلى عن ...

لويز

: لقد تخليت عن كل شيء . ولكن هل تضن على.
راحل ان يستجدى من الأرض زهرة يحملها
تذكارا اخيرا لجمال الدنيا ، حتى يكون فى الوداع.
عزاء عن الأسى ؟

جوان

: (**يزداد ارتباكاً**) جوان ، أنا .. أنا انكلم لأنك ..
تمذبت . والآن ، لا أريد أن تزداد علاباً ايها!
الصديق العزيز . (**ينطلق بما عنده فجأة**) هذه.
السفينة تحمل اليك مفاجأة . أن ابن اخيك ،
جوان ، قد وصل من اسبانيا . وهو قادم من
پورتوريكو لتحييتك .

لويز

: (**فى ابهام**) ابن اخى ؟ (**تسمع أصوات من داخل**
الدير) بياتريز ! (**يظهر كبير الرهبان عند المدخل**
يعان قدوم بياتريز وابن اخ جوان ، تبهما وصيفة
بياتريز وخادم ابن الأخ ، حاملا عباءة سيده وعوده .
يظل هذان ، اثناء المنظر القادم ، واقفين بالباب فى
احترام بعض الوقت ، ثم يدخلان الدير ، بعد أن
يترك الخادم العباءة والعود على الأرض بجانب
المدخل . ينسحب كبير الرهبان على الفور ،
وينسحب لويز أيضا بعد أن يشد على يد جوان .
متبادلا التحية مع الزائرين عند مروره بهما .

جوان

بياتريز توج بالرضى ، ومن الواضح جدا أنها في
حالة غرام عميق . أما هو ففارس شاب رشيق
نحيل ، يرتدى ثيابا فاخرة (

بياتريز : (تتوقف لحظة وعليها ملامح التعجب حينما ترى
وجه جوان الذابل ، ثم تندفع وتلقى بنفسها راكعة
على ركبتيها الى جوار المقعد . تقول في عجلة)
دون جوان . اوه يا للسعادة ، أن أجلك .. وقد
شفيت من جراحتك . ساصلى لله شكرا . (تقبله
بحركة اندفاع لا ارادية)

جوان : (يكاد يخنقه الإغتراب ، فلا يقول سوى كلمة
واحدة) بياتريز .. بياتريز !

ابن أخيه : (يركع ويقبل يد جوان . ينتبه جوان ، ثم يأخذ
في تفحص وجهه بتمعن ، وقد توجس مما يبدو
أن الآخر أيضا قد تبينه) أحييك يا سيدي ،
ولرجو أن يمن الله عليك بالقوة عاجلا .

جوان : (في ضعف) عاجلا .. سأكون قويا .. رغم كل
الجروح (بعد فترة) اذن فاسمك جوان ، أيضا ؟
ابن أخيه : تشرفا بك . ومع اننى لن أستطيع أن أزيد الاسم
شرفا ، الا اننى آمل أن أحمله عن جدارة .

جوان : (في نبرة دعاء تتسرب الى صوته) أجئت هنا
سعيًا وراء المخاطر ؟

ابن أخيه : جئت في خدمة اسبانيا .

جوان : (بصوت أجش) لابد أن يكون لك قلب فولاذي
كسيفك . هل لك هذا القلب ؟

بياتريز : (بحماس ، مع شعور بالآلم للطريقة التى استقبلهما

بها جوان) أوه ، انه شجاع . كان جوان هو
الذى قاد المدافعين عندما حاول الرعاع الهجوم
على القصر .

جوان : (يزداد احتياجا - ويحاول أن يخفى كراهيته
تحت قناع من التودد) هذا عمل من أعمال
الشجاعة . ولكنك ، دون شك ، قد سمعت
أقاصيص عن جبال من الجواهر .. ومدن الذهب
في كاثاي . هل تطمع في أن تصبح غنيا ؟

ابن أخيه : أنا لا أحفل بالفنى ، أما عن المدن الذهبية فلا أريد
إلا أن أرفع أعلام أسبانيا على قلاعها .

جوان : (وقد أوحى إليه بالاحترام رغبا عنه) هذه أحلام
مجيدة . انه الصدى تحمله ربح السنين .

بياتريز : (ناظرة الى جوان الصغير بفخر كبير ، اذ يتفحص
جوان وجهه) انه كما كنت أنت في أقاصيص أمى .
(هى والشاب ، يتعلق نظر كل منهما بالآخر)

جوان : (بعد نضال مع مرارته - يقول بلهجة تسليم
بالقدر) وهكذا ... قلب عجوز ... صامت .
(مستنهضا نفسه - يقول بعنف وقوة) ولكن في
فرح ، في فرح (ينظر اليه في توجس حائر .
ويبتسم هو في رقة لبياتريز) اذن فقد وجدته
اخيرا .. وجدت شبيهى ؟

بياتريز : (تحمر خجلا ، وتقول في ارتباك) لست .. لست
أدرى يا دون جوان .

جوان : اذن فانا أدرى (متاعلا في شيء من الحزن) لقد فوت
على آخر عمل كنت أنوى القيام به . كانت عند

الرجل المجوز قصة ليرويها لك - قصة شجاعة .
رائعة . ولكنه يرى الآن أنه اذا لم يستطع الشباب
أن يكتم سره ، فان على الشيخوخة أن تحتفظ
بأسرارها . شبح هرم حزين يطارد ذكرياتكما !

يا لها من هدية زواج كئيبة ! (ينظر كل منهما الى
الآخر ثانياً في شعور من الفموض والتوجس ، ثم
يرفع جوان بصره اليهما فجأة ويقول في وضوح
ودون مواربة) أنتما متحابان . (ثم يقضى سريعاً
بلهجة محومة) عفوا ... انا جندي خشن . ولا بد
من العجلة . اسرما .. الا تطلبان منى ان ابارككما ؟

بياتريز : (تخر على ركبتيها الى جواره - تقول في سعادة)
نعم ، نعم ، ايها الدون جوان الكريم . (ويركع
ابن أخيه الى جانبها)

جوان : (يرفع يديه فوق رأسيهما) يا شباب هذه الارض ،
الحب . مرحى . ووداعا .. الا فلتكونا مباركين
على الدوام (يلمس رأسيهما بيديه ثم يتهاوى
مغمضاً عينيه . ينهضان ويقفان ينظران اليه غير
واثقين)

ابن أخيه : (بعد فترة - في همس) انه يريد أن ينام .
بياتريز : (اذ يسيران ، تقول في همس ، والدموع في عينيها)
اوه جوان ، انا خائفة . ولكن .. مع ذلك ..
لست حزينة .

ابن أخيه : (يضمها بين ذراعيه بقوة) حيائى ، روحى .
(يقبلها)

بياتريز : غرامى .

ابن أخيه : الحياة جميلة . الأرض تغنى لنا . فلنغن نحن
أيضا (يذهب الى حيث المود ويلتقطه)

بياتريز : (في سعادة) نعم (ثم تتذكر) شش (وتشير الى
جوان)

ابن أخيه : (يحثها) انه نائم . نستطيع ان نخرج بعيدا وراء
الجدران . (يطوقها بتراعه ويذهب بها خارجا من
الباب في المؤخرة)

جوان : (يفتح عينيه ، وينظر خلفهما ، وعلى شفثيه
إبتسامة حانية) نعم ، اذهبا حيث الجمال . غنيا .
(ومن الخارج يسمع صوت بياتريز وابن أخيه
يغنيان معا أغنيتهما للينبوع)

الحب زهرة ،

دالما مزدهرة .

الجمال ينبوع ،

دالما يتدفق ،

الى العلا ، الى مصدر الشمس ،

الى اعلا ، الى السماء الازوردية ،

يتحد مع الله ،

ولكن يعود دالما ،

ليقبل الأرض كي تعيش الأزهار .

جوان : (يستمع في نشوة ، ثم يحنى رأسه ، ويبكى . ثم
يفوص برأسه الى الوراء في مقعده متعبا وعيناه
مغمضتان . يدخل لويز قادما من الدير)

لويز : (يتقدم في سرعة متوجسا) جوان ! (يلفه صوت
الأغنية ، ويبدو عليه السخط) هل فقدنا كل

مشاعرهما ؟ سأوقف ... (يهم نحو الباب)
 جوان : (في صوت زئان) لا . أنا هذه الأغنية . على المرء
 أن يتقبل ، ويستوعب ، ويرد ، ويصبح هو نفسه
 رمزا . جوان بونس دى ليون قد أصبح الماضي . .
 تحول الى وجوه الجمال الألف التى تصنع السعادة :
 لون الغروب ، وفجر الفد ، وانفاس الرياح العظمى ،
 وضوء الشمس على الحشائش ، وأغنية الهوام ،
 وحفيف الأغصان ، وإطماع النملة ! (في نشوة) آه
 يا لويز ! لقد بدأت أتبين الشباب الأبدى . لقد
 وجدت ينبوعى . أيا ينبوع الخلود ، استعد هذه
 النقطة ، روحى . (يموت . لويز يحنى رأسه
 ويبكى)

كبير الرهبان : (يدخل من اليمين) صلاة المساء (في صوت
 ارتياح ، اذ يهملق في جوان) هل مات ... ؟
 لويز : (وقد تنبه - في روح عالية) لا . بل يعيش في
 الله . فلنصل . (يخر لويز على ركبتيه الى جانب
 جثة جوان ، وكبير الرهبان الى جانبه يرفع عينيه
 ويديه المضمومتين الى السماء ويصلى بتبتل .
 وتبدو اصوات يياتريز وابن الأخ في افنية النافورة ،
 كلها تصعد الى قمة عالية منتشبة ، ثم ترتفع
 صلاة الراهبين في عمق وحيوية ، وتندمج الأصوات
 في انسجام عيلا الجو ، شاملا كل شيء ، متغنيا بسر
 الحياة بينما تنزل الستار)

ستار الختام

صدر من هذه المكتبة :

١ - الأحرار

للكتاب الأمريكي : سدنى كنجزلى
ترجمة : عبد الحليم البشلاوى

٢ - الرجل العجوز

للكتاب الروسى : ماكسيم جوركى
ترجمة : عبد الحليم البشلاوى

٣ - بيت النمية

للكتاب النرويجى : هنريك إبسن
ترجمة : كامل يوسف

مكتبة الفنون الدرامية

تحت الطبع :

قطعة على سطح من الصفيح الساخن

للكاتب الأمريكي : تنيسي وليامز

ترجمة : عبد الحليم البشلاوي

Bibliotheca Alexandrina



0422305



دار مصر للطباعة
٢٧ (١) شارع صدق المهدي

الغبن ٢٠ قرشا